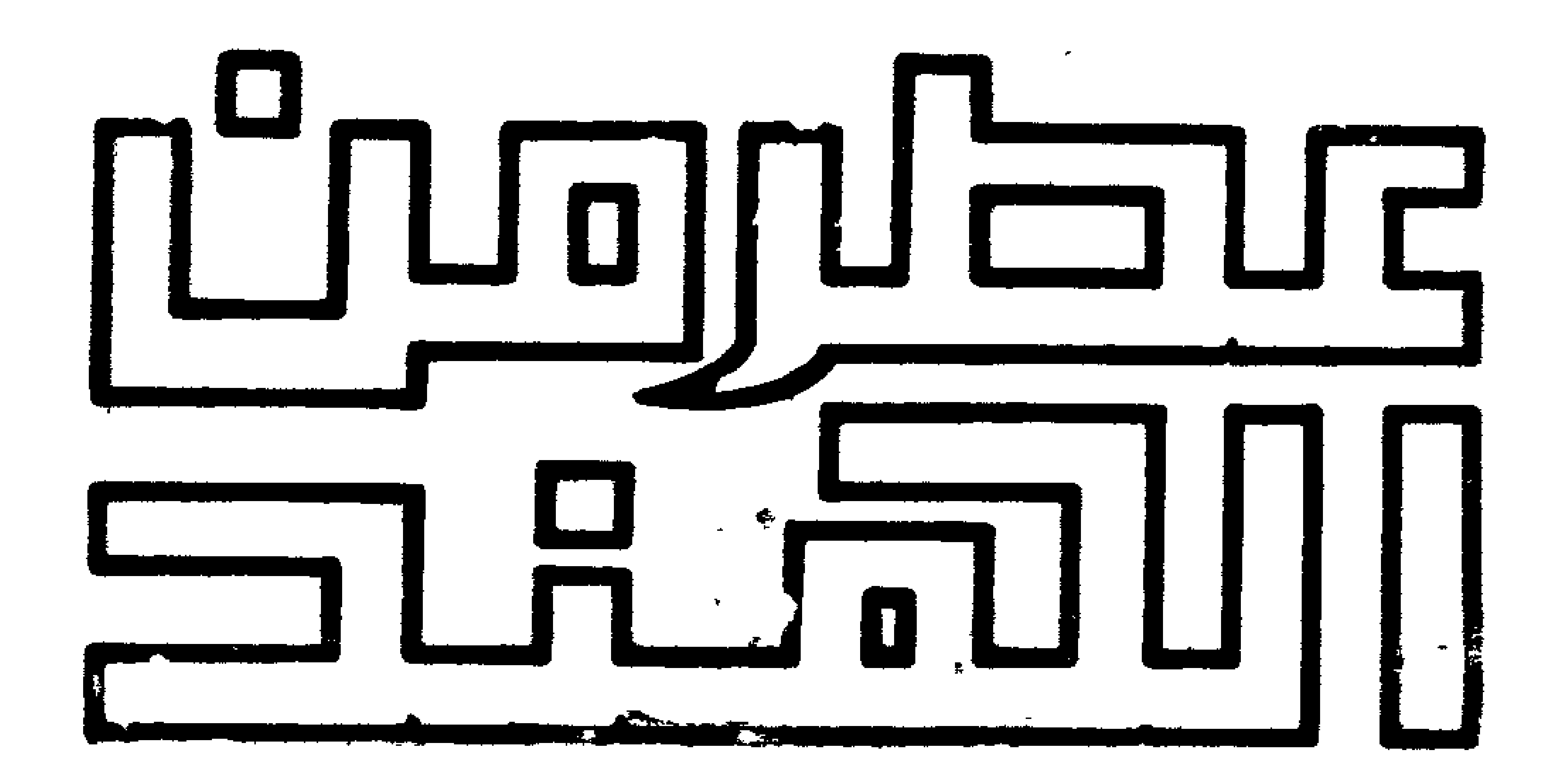
عطر من الهند



لوسي يعقوب

8





عن الإنجليزية

ترجمة

لوسي يعقوب

١٤٠١ هـ - ١٩٨٤ م

● الغلاف من تصميم :

□ حسن أحمد خليل

□□ الناشر : مؤسسة دار الشعب

٩٢ ش قصر العينى ـ القاهرة

مقدمة

هذه المجموعة من اروع ما قرات من القصص الهندى .. هى باقة عطرة من نسمات الفكر .. والروح الطيبة .. والمبادى والقيم الهندية ، وقد قصدت ان أجمعها وانقلها فى باقة واحدة لتعطى كل زهرة أريجا مختلفا .. !!

ففى قصة ((جوما بهابى)) أو ((جوما العفيفة)) نرى الى أى مدى تصل الاشاعة .. حتى انها لتوصم امراة عفيفة بابشع الوصمات ، وهى الطاهرة العفيفة .. !!

وفى قصة ((الحرب)) نلمس حب البلد وعشقه .. البلد الذى نشا فيه واحبه ، وهو الرجل الابيض ((مستر بيريرا)) وكل عذابه كان فى بعده عنه .. !

ففى كل قصة نجد معنى ومغزى .. مع لمسات شفافة من الخيال الذى يجمل الحقيقة .. ويضفى عليها أريجا عطرا من نسمات الهند ، فى اطار مشوق جذاب .. يمتع ويطرب كالنغم الهندى .. والسارى الهندى .. !!

عسى أن أكون قد نجحت فى ان اقدم القارىء لونا جديدا .. من ألوان الادب .. !!

لوسى يعقوب

اللمسة السماوية



●● مثل هذا القرار لا ترتبه الا السماء لانه كان لقاء ابديا ..
ومقدســـا !!

وبالتدريج .. كانت الطـائرة تبطىء من سرعتها منحـدرة الهبوط .. ولمعت الاشارة الحمراء « أحكموا أحزمة مقاعدكم » ، ودارت عينا المضيفة الخبيرة .. الطويلة القامة حول المسافرين ، وفى بعض الأحيان كانت تساعد أحـدهم على وضع حزامه فى الوضع الصحيح .. وحين سارت فى الممر الضيق لتصل الى .. شعرت بنظرتها الفاحصة ترتكز على أصابعى المرتعشة ..!!

ربتت على كتفى ، وهمست برقة :

ــ لا تقلقى ... سوف تجدين نفسك فى مطار « ديلهى » دون أن تشعرى ، فاننا سوف نهبط هبوطا سليما ..!

وابتسمت .. لم يكن لدى القلب الذى يتفتح لها !..

لقد عاركت الأسفار ، فلقد سافرت الى كل أنحاء العالم .. أوروبا وأمريكا .. وتأقلمت بهما .. ولكن ! كانت هذه هى المرة الأولى التى أزور فيها الهند ... موطنى الأصلى ، أرض مولدى الحقيقى .. حتى ناهزت الثالثة عشر من عمـرى ، وحينئذ .. هاجر والداى الى أفريقيا ، وكانت فترة طيبة ولمدة عشرين عاما ، الى أن لاحت لعينى الأرض التى شاهدت مولد أجدادى ..!

وحاولت أن أتذكر كل ماقالته لى امى .. واسترجع الصور امام ناظرى لقد كانت أسرة أمى تتألف من أربعة عشر طفلا . ثمانية أخوة وست أخوات .. وكانت أمى هى أكبرهم جميعا ،

بقرابة ممتعة .. أصبحت هى وجـدتى .. كل منهما حاملا فى نفس الوقت وهما الاثنتان أعطتا حياة لطفلتين .. وكنت أنا الابنة أصغـر من عمتى بعشرين يوما .. وشكرا لله ، فلقد كنا آخر من فى العائلتين ، كنا ستة أشخاص فى عائلتنا نحن .. أربعة أخـوة .. واختين .. كل فـرد فى عائلتنا تزوج فى سـعادة .. الا أنا ! وتملقتنى أمى لأذهب الى أرض مولدى . لأن جـدى وجدتى لديهما شخصا يناسبنى ....

وتذكرت بوضوح سطور ذلك الخطاب :

« انه الوقت الذى يجب أن تفكرى فيه فى زواج « سوشما » فهى ومع أنها كبيرة فى السن جدا .. الا أننا كنا محظوظين جدا لنجد لها زوجا .. هو فى الخامسة والأربعين من عمره .. والعيب الوحيد الذى وجدناه فيه هو أنه أصلع .. وحينئذ .. وفى ذلك العمر .. فان الانسان لا يمكن أبدا أن يجد كل شىء .. وأننى اقترح أن تسعى بارسال سوشما .. على فكرة ! لقد أخبرناه بأنها فى التاسعة والعشرين من عمرها ..! »

ثم بعد ذلك ، كان الخطاب يحمل أخبارا عن العائلة ..!

وفى البداية ، عارضت بشدة .. لم أكن أرغب فى الزواج من أصلع . وأخبرتهم بذلك .. وبأننى لا أخجل من أعوامى الثلاثة والثلاثين .. ولكن أمى كانت صلبة المراس .. حيث أنها كانت عائلتها هى .. وعلى أن أثق فيهم ، ويمكننى دائمـا ان أقول « لا » وأعود ثانيا الى بيتى ، ستكون الرحلة مفيدة لى ، سوف تجعلنى أرى مدى تقدم بلد أمى « الهند » لقد أصبحت الهند

ولاية كبيرة . واسم « انديرا غاندى » علما حتى فى « نيجيريا » ، ولقد كنت فى الحقيقة أشعر بالفخر لكونى هندية .. وكلى اشتياق ورغبة فى رؤية الهند مرة أخرى .. ولكنى أفقت من خيالاتى على رجة .. ليس فقط على هبوط الطائرة برفق ـ كما قالت المضيفة الجوية ـ ولكن أيضا على بدء تحرك الركاب من مقاعدهم ..!!

وابتدأت أنا أيضا أفك حزام الأمان .. واخذت كيسى وحقيبتى الجوية الكبيرة .. وأخذت استعدادى لمتابعة الخط الطويل الممتد أمامى ..!!

لقد كان شهر نوفمبر .. لذا كان النسيم البارد يلفع الأمواج الحريرية على كتفى .. فان الشعر الطويل كان أكثر ترحيبا .. وكان من الصعوبة على أن أجد وقتا لتفهم ما يحيط بى ، اذ أننى كنت شديدة الحيرة فى أى واحد من أعمامى الثمانية سوف يكون فى استقبالى بالمطار ...

ولم أقلق كثيرا .. كان عمى « مانوهار » هو من ينتظرنى ، ربت على كتفى ، وضمنى ضمة قوية ، نظرت اليه فى دهشة .. هل تغيرت قليلا ..؟

وقد وضح ذلك عندما قال :

ـــ سوشما .. أنت صورة من أمك .

وأننى معجبة بأمى .. وكنت فخورة لكونى أشبهها .. فلقد كانت جميلة .. طويلة .. نحيفة ، بوجه منبسط بلا تجاعيد .. وتحمل معها أريجا من الفتنة والكرامة أينما ذهبت ..!

وكان عمى « مانوهار » طيبا .. مرحا ، وتمنيت أن يكون كل أقاربى مثله ..!!

وكان الطريق ممتعا حين مررنا به ، لقد شاهدت الشوارع الواسعة ، وشجيرات الأزهار .. ولفحتنى لفحة من الرضاء حين مشاهدتى الهندسة الحديثة فى المبانى ، وبهرنى التقدم العظيم .. هذه هى بلدى .. وأشار عمى مانوهار الى كل المنشئات والأماكن الهامة ، ثم تحولنا الى طريق قبل أن يبدو فيه منزلا منخفضا .. تلتف به فيراندا من كل جانب ، وتقف على بابه عمتى .. وعندما خطوت الى الداخل ، هرعت الى وضمتنى ضمة حبيبة .

وأحببت زوجة عمى مانوهار من النظرة الأولى .. لم يكن عندهما أولاد ، وأننى اعتقد انه لهذا السبب وضعونى فى منزلهما .. ولكنهما كانا فى غاية المودة .. حتى أن أعصابى المشدودة حين وجودى بالطائرة .. تراخت كلها وهدأت واستكانت ..!

وبعد شاى خفيف .. مكونا من البسكويت وبعضا من الساندوتش أخذتنى الى حجرتى :

ــ سوشما .. استريحى قليلا .. الليلة سوف تقابلين العائلة كلها فى منزل جدك .. واعتقد أيضا أن ذلك الرجل سيكون هناك ..

وكان وجهها محولا عنى وهى ترفع غطاء الفراش ، بحيث لم أتمكن من قراءة التعبيرات المرتسمة عليه ، وكنت سعيدة لعدم

اثارتها هذا الموضـوع .. لقد حضرت الى ديلهى وكلى عـزم وتصميم تام لأقول « لا » ، ولم أرغب فى أن أفسد الجو البهيج المحيط بى .

وفى ذلك المساء .. ارتديت ملابسى بعنـاية فائقة .. لقـد انتقيت ساريا من الحرير الطبيعى .. فى اخضرار فاتح .. يمازجه اللون الوردى ..!! وأضفى ذلك اللون الوردى حـرارة على وجنتى .. وأوضح جمـال رقبتى .. وجملت جفونى بقليل من الماسكرا ..!

ولمعت عيناى ..!!

وأدركت بأننى أبدو فى أجمل مظهر حين عاينت نفسى أمام المرآة قبل أن أخطو الى حجرة الاستقبال ..!!

كان عمى وعمتى فى الفيراندا ..

ــ تعالى ياسوشما ، سوف نغادر فى التو واللحظة ...!

وحين لحقت بهما .. لمحت نظرات الاعجاب تلمع فى عيونهما . وارتفعت روحى المعنوية الى السحاب ..!!

أننى أعرف بأننى احتاج الى أكثر من النظرات لمقابلة مثل هذه العائلة الكثيرة العدد .. وفى ليلة واحدة ، أننى احتاج الى شجاعة بالنسـبة لكونى غريبة تمـاما عن محيطهم .. والرجل سيكون هناك .. الليلة ..! ومن كل الليالى . هل يعتقد جـدى بأنه سوف يجعلنى أتزوج ، وفى شـهر واحد فقط من بقائى فى الهند ..!!

وكان واضحا تماما أن جدى يعيش مغلقا .. فاننا بعد مسيرة أقل من عشرة دقائق .. لاح لعينى قصرا ضخما من طابقين ..!

وتعالت بعض الضحكات والأحاديث المرتفعة من الأبواب المفتوحة .. وأعمضت عينى لثانية .. هذه هى اللحظة ..!

وحين دخولى .. أطبق الصمت المميت ..!

ثم ارتفعت النداءات والصيحات :

ــ هاللو .. هاللو أنتى .. هاللو سوشما .. سوشما بيتا .. حبيبتى أننى عمتك !

وتحيرت .. لما لم أبق فى الخارج للحظة أخرى ، وهنا وصل عمى مانوهار لانقاذى :

ــ تعالى ياسوشما .. تعالى قابلى جدك وجدتك ..!

وجلست بامتنان بجوار جدى وجدتى .. نظرا الى بعيون هرمة .. متعبة ..!! هيه ..!! فكرت بلا عجب . بلا حقد !!

« ليكون هناك أربعة عشر طفلا فى هذا الجيل ، وتضاعف العدد الى أربعة أضعاف » .

والآن .. كان عندى متسعا من الوقت لاختبار أقاربى عن كثب .. لقد عرفت معظم عماتى وأعمامى من الصور التى كنا تتلقاها منهم بين الحين والحين .. ولكن ما حيرنى حقيقة هو ما كانت قد قالته لى أمى بسعادة بالغة :

ــ سوشما .. سوف تقضين وقتا ممتعا .. أولاد عم كثيرون ..!

وسألتها بقلق :

ـــ ولكن يا أمى .. كيف سأتعرف عليهم .!

ـــ كل صغار السن هم أولاد عمك .. فقط من كان منهم فى العاشرة والثامنة .. سيكونون أولاد الأخت أو الأخ .. لأنهم سيكونون أطفال أولاد العم الذين تزوجوا !

لقد بدا لى كل شىء بسيطا فى ذلك الوقت .. ولكن الآن ..!! يا لحيرتى ..! من هم أولاد عمى ، كل صغير .. أو كبير قليلا .. أو حتى من عمرى نادانى بيا « عمتى » .. هل ينادى كل واحد فى الهند أولاد العم بعمتى ..؟

أو أننى أبدو متقدمة فى الســـن ، بحيث لا يمكنهم الا أن يضعوننى فى هذا المستوى . . ؟ مستوى العمات . . !

والآن ، كان حولى جمهرة من صغار السن :

ــ عمتى . كيف تبدو نيجيريا ؟ هل سيلقى الأفريقيون بكل الهنود خارجا . . ؟؟

وهكذا . . هكذا . . الى آخره . . !

والآن ، وصلت الى حالة من الاختناق . . لقد اعتقدت بأننى فعلا قد وصلت الى الدرجة التى يوضع فيها العمات ، ولم يحاول واحد منهم ان يتعب نفسه ليحضر لى شرابا .. وكل هذا الكلام عن نيجيريا أصابنى بالظمأ ، ووددت أن أصرخ . . !!

وفتحت فمى ، عندما سادت الحجرة موجة من الانتعاش .

لقد وصل . . !

« حمدا لله لأنهم لم يرسلوا لى صورته . . والا ما كنت قد رأيت موطنى أبدا » .

لقد كان يبدو كئيبا . . عجوزا أكثر من الوصـف الذى وصفوه لأمى ، وأطرقت . . يا لأمى المسكينة ، ليتك تستطيعين رؤيته ، وقادوه الى . . !!

وحينئذ . . انتفض ذلك الشيطان الذى يحتضن عائلتى . أتى فى النهاية . . ولاحظ أخى الكبير الشرر الذى يتطـاير من عينى وقال لى :

ـ احترسى . . !!

وساد صمت مستطلع فى أنحـاء الغـرفة المزدحمة . . كل واحد فيهم ينظر الينا نحن الاثنين . . أعتقـد . . ! ليعاينوا رد الفعل . . !

وعندما وصل الى ما يقرب من القـدم ـ بقربى ـ قفزت صائحة بصوت عال :

ـ هاللو أونكل . . !

وكأن قنبلة قد انفجرت فى الغرفة . . كان هنـاك صـمت مميت . . !! وكانت هناك ضحكات مكتومة ، وقال عمى مانوهار :

ـ تعالى يا سوشما . . تعالى خذى كوكا لنفسك . . لابد وأن يكون قد جف حلقك . . !

وتبعته برشاقة عبر الغرفة . . !

وشعرت الآن بمنتهى الصفاء بعد أن زال العائق الأول . . !!

يا له من رجل . . بعد تلك « الأونكل » قطعا لن يقترب منى . . !

وقررت أن أمتع نفسى بعد أن زال عنها التوتر ، ولم يــكن كل أقربائى بهذا القدر من السوء ، وأصابتنى نوبة من التعاطف والود . . !

وكانت ليلة مليحة فكهة وكلها متعــة . . كان معظمهم من أقارب والداى ، خاصة وأن منظرى قد أعاد الى أذهانهم صورة أمى .. !!

وكنت أحتسى الكوب الثالث من الكوكاكولا ، حين لمحت رجلا وسيما . . رائع المظهر ، يدخل الى الغرفة ومعه امرأة تقاربنى فى العمر . . وفى هذه اللحظة . . كان لسانى ينســاب سريعا ، لذا ، فقد التفت بانفعال لأسأل واحدا من أبناء عمومتى برقة :

ــ من تكون هذه الفتاة . . ؟

وطبيعى جدا ، فأننى لم أستطع أن أســأله عن ذلك الرجل الذى أثار اهتمامى . . ولكن ذلك سوف يوضح الصلة . . !

وأجاب ابن عمى على اشارة أصبعى :

ــ من تلك . . ؟ هى عمتنا « لاشا » . . !

وأخرجت تنهيدة عميقة من خيبة الأمل . . !!

ــ أوه . . أوه . . !!

لأفكر . . كيف وأننى قد قطعت مئات الأميال فقط !! لكى أجد أن الرجل الممتع الوحيد مرتبط بعمتى . . تلك العمة التى تكبرنى بعشرين يوما . . أوه . . أننى اعتقد أن بعض النــاس يكون من نصيبهم الحظ كله . . !

لابد وأنه أيضا قد لاحظنى ، فلقد وجدته يراقبنى عـدة مرات ثم أجرؤ على النظر فى اتجـاهه ، كان قلبى يعتصرنى اعتصارا وأنا أراه يهمس بشىء فى أذن عمى مانوهار . وكان عمى يبتسم ابتسامة عريضة . . ثم حولت أنا نظرى عنهمـا بعيـدا . . !!

وفجأة وجدته أمامى . . نظرت اليه ، وقام عمى بالتعارف :

ــ راميش . . هذه ابنة أخى « سوشما » !

وتحـركت بأدب لأدفن نفسى فى ركن من الأريـكة ، ماذا دهانى . . ؟ هـو عمى بالزواج ، واذا ما تذكرنا ذلـك نحن الاثنين . فلن تكون هناك أى غلطة . . !

سـأل :

ــ هل تحبين الهند . . ؟

ــ نعم . القليل الذى رأيته ، وأننى أتمنى أن اطوف بكل الأماكن قبل عودتى الى نيجيريا .

ونظر فى عينى بخبث ماكر :

ــ يجب عليك أن تشاهدى (التاج) فى ضوء القمر !

يمكن لأثنين أن يلعبا لعبة . لذا فأننى سألته ببراءة :

ــ ولماذا فى ضوء القمر . ؟

وارتعشت شفتاه للحظة . . وظننت بأنه سوف يأخذ المباراة . قال ببرود :

ــ انه شىء لا ينسى أبدا . المنظر ، الجمال . . ذلك الحب السـامى !

واقترحت أن نغير الموضوع الى آخر أقل حساسية . . الى ديلهى وآثارها . . الأجواء الصناعية المحيطة بها والتى بدت بوادرها . . وو . . !

وأغاظنى صوته :

ـ لماذا . . ؟

ـ انها تقف لتحرير المرأة ومن أجل حريتها ، وكل ما نريده نحن النساء . . ان عندها شجاعة عظيمة ، وهى حقيقة شجاعة ، لماذا . . ؟ عبر البحار . . كل من قابلته . . عنده كلمة ثناء عليها واعجاب بها ، وحينما يرون أحدا يلبس السارى يسألونه سؤالا واحدا لا يتغير :

« هل أنت من بلد انديرا غاندى » . . ؟

ـ هل تحبين أن تأتى لتقابلينها . . ؟ يمكننى أن آخذك اليها فى يوم من الأيام . . لى صديق يمكنه ترتيب تلك المقابلة . . !

هكذا كان مسائى . . أننى كنت أرتجف . . لم يتركنى راميش فى تلك الليلة ، بل ازداد قربا منى ، لقد شعرت بالتمرد . . لقد تمنيت من كل قلبى أن يكون ذلك الرجل هو راميش ، على أن أعرف قبل أن ينتهى ذلك المساء الاجابة على سؤالى . . وأن الرحلة لم تكن هباء . . !!

ولكن هو كذلك . . على أن أذكر نفسى دائما بأنه زوج عمتى . . ومن الأفضل لى أن أروض نفسى على ذلك . . !!

وتجمعت العائلة كلها فى الفيراندا ، وتحيات المساء والضحكات كانت متبادلة . . ومعادة . . مرة ومرات ، ولحقت

بهم . . وفى غمرة هذه الأصوات ، سمعت من يهمس فى أذنى :
ــ سأتصل بك تليفونيا فى الغد . . !
لقد كان راميش ، وفى الحال اختفى فى ظلام الليل . . !
وعندما اضجعت بظهرى الى الخلف فى العربة . . !
تأملت . . !! أية وقاحة سمحتها لنفسى ، أيظن بأننى من هذا اللون من الفتيات . . ؟
واندفعت موجة حارة تلهب وجهى خجلا . . عمى أو غير عمى ، عليه أن يتلقاها غدا فى التليفون . . !
ودخل عمى مانوهار ، حين انسللت بين طيات الفراش البارد :
ــ هيه . . ! أمتعت نفسك . . ؟
ثم ، وقبل أن أتمكن من الاجابة . . استمر قائلا :
ــ لقد كان شيئا جميلا أن تكونى معنا اليوم ، أتعرفين . . ؟
لقد أنقذتيننا من موقف شديد الحرج .. لقد كان هناك شجار بين عمك راتال وجدك هذا الصباح وتبادلا أفظع الكلمات . . ولم نكن متأكدين من حضوره هذه الليلة . . وعندما حضر ، توقعنا مزيدا من العداء . . ان لجدك طبعا عنيفا . . وها أنت بكل حلاوة تهتفين . . « هاللو أونكل » . . وانتهت اللحظة الحرجة ، لقد كان هذا الرجل هو عمك « راتال » . . !!
ودار رأسى . . هل سأصبح مجنونة . . وبعد ذلك لم يأت ذلك الرجل على الاطلاق . . ومشكلتى مازالت قائمة . . ولمست رأسى ، كان يبدو غبيا . . ثقيلا . . !!

وبالصدفة ، لمس عمى يدى . . سألنى بلهجة كان يعتقد هو أنها رقيقة :

ـ كيف وجدت راميش . . ؟

وسألت بسخافة بلهاء :

ـ راميش . . ؟ أليس هو مشكلة عمتى « لاشا » . . ؟ ؟

ـ لقد كنا فى غاية لسعادة عندما رأيناكما هكذا تأتلفان . . والآن يمكننا أن نرسل برقية الى أمك نخبرها بأن أجراس الزفاف سوف تدق حالا . . !!! لقد كان هذا اقتراح عمتك « لاشا » . . فى أنها سوف تحضره معها بالصدفة ، وهـذا حتى لا يصيبك الارتباك . . !!

وفى تلك اللحظة ، شعرت بالحرارة تغمرنى . . ثم بالبرودة ، هكذا بالتناوب . . !

ـ هناك مثل قديم فى الهنـد يقول أن الزواج يصـنع فى السـماء . . !!

واستمر قائلا :

ـ وأننى أعتقد أن زواجك كان اختيارا حكيما . . !!

وكانت المروحة تدور فوق رأسى ، ولوقت طويل . . كانت نظراتى الشـاردة تخترق النـافذة بلا رؤية . . !! ثم داعبت الابتسامة شفتى :

لقد وعد راميش بأنه سوف يتصل بى تليفونيا . . !!

والآن . . فأننى أعرف ماذا يكون جوابى .

□ □ □

جوما العفيفة



ان المراة بلا زوج .. ولا ولد .. تشبه شجيرات العنب .. يستظل بظلها الرجال ويقطفون ثمارها أيضا .. !!

كل من فى القرية الصـغيرة يعرفون « جوما العفيفـة » وينادونها بهذا الاسم . . !! الكهول منهم بشعورهم ولحـاهم الفضية . . الشباب والصبية الصغار . . كلهم . . كلهم . . رجالا ونساء وأطفالا . . حتى زوجها . . لا يناديها الا باسم « جـوما العفيفة » . . !!

ولم تنجب جوما العفيفة لا ولـدا ولا بنتا . وأننى أتذكر ذلك اليوم الذى حضرت فيه الى قريتنا كعروس . . كل القرويين تهافتوا على منزل « كيشو » ليشاهدوا عروسـه الجديدة . . وكانوا يهمسون بأن « كيشو » فى يوم ساق بغاله المحملة بالقمح والبقول الى السوق . . وعاد فى المساء بالجوالات المليئة بالفطائر التى تقطر زيتا . . وبذور القطن . . ومعه « جوما بهابى » . . !!

وكانت حلوة جبيبة مشرقة كالقمر نفسه . . وتطلع الكـل اليها مبهوتا لهذا الجمال الخارق . . وتطلع اليها الرجال بنظرات جائعة . . وصاح به أصدقاؤه :

ــ أنت أيها اللص المحظوظ . . من أين سرقتها . . ؟؟

وتهامست النسوة وهن يطفن بصحن دارها ويفركن أصابعهن ويطرقعنها فى عصبية :

ــ آه . . انها تساوى ثقلها ذهبا . . !!

وتعجبن . من آين أتت بنظراتها الساحرة هذه . . !!

وفى ذلك المساء . . كان كيشو فى غاية النشوة . . انه يطير فى السحاب . . ومر على كل بغـــاله يقبلها . . مرة . . مرة . . ومرة . . ومرات . .

ولم يغير الزواج أى شىء من طريقته المعهودة فى الحياة .. فلقد وضع كيشو نفس الحذاء البالى فى قدميه . . نفس السروال المرقع عند ركبتيه . . ونفس القميص القذر . . لا جديد به اللهم الا شيئا واحدا ظهر فى هذه المناسبة السعيدة . انها العمـــامة الموسلين البيضاء . . وهذه أيضا لم يغير من طريقة ربطها على رأسه . . فبدت مقيتة . . وأشد قذارة من شعره المجعد الذى تركه متدلبـــا على جانبى وجهـــه . . خشنا لزجا . . ينضـــح بالقذارة . . ويرعى فيه القمل براحة وسخاء . . ولم يهذب كيشو من لحيته الطويلة الملبدة . . أو حتى ينظف جسده ووجهـــه من رائحة روث البهائم الذى يفوح منه . . ومن رائحـــة الزيوت والأتربة والغبار الذى يلتف به من رحلاته اليومية الى السوق !!

وكان كيشو قصيرا . . ويغمز بعين واحدة . . !! هـكذا . . ! ودائما عندما يسألونه :

ـــ لمن تغمز يا كيشو . . ؟؟

ويجيب كيشو : لقد غمزت مرة واحدة فى حياتى . . ومن وقتها بقيت عينى هـكذا . . !!!

وكان كيشو مقرفصا . . ربعا . . بأيد قصيرة غليظة وأصابع معقدة . . وأذرع قصيرة . . ويحجل برجل واحدة . . فلقد رفسه بغل من بغاله الحبيبة . . واعتاد على طريقة الحنجلة هذه . . وأصبحت لازمة من لوازمه . . وكان لفم كيشو رائحة كريهة تنبعث منه كلما فتحه . . وقال الرجال أن هذه الرائحة بسبب أنه لا يغسل أسنانه أبدا . . أما النساء . فلقد قلن : انها تنبعث منه لأن له لسان قذر . . فلا تخرج كلمة واحدة منه الا ويغتاب فيها أما . . أو أختا . . او زوجة . . او اية فتاة تمر بلسانه القذر . . !!

وعلى عكس ذلك . . كانت زوجته . . فانه بصعوبة شديدة . . يمكن أن تعرف أن لها لسان فى فمها . . لأنها لم تكن تلفظ بأى كلمة . . لا حلوة . . ولا رديئة . . أبدا . . على أى مخلوق . . واذا قال قائل أى كلام يمدح به كيشو . . فانها لا تعطى أى تعليق عليه . . واذا قيل عنه قولا قذرا . . فانها تلزم الصمت . . انها لا تتعدى اختصاصاتها . . فلها بيت ترعاه . . وحوش تنظفه . . وترويه لترتاح فيه . . ونادرا ما تغادره ، واذا أتى الناس لزيارتها . . فانها ترحب بهم كل الترحيب . . والمناسبة الوحيدة التى كانت تغادر فيها عتبة دارها . . كانت فى الصباح والمساء لتملأ المياه من البئر . . وكانت لا تسأل أبدا أية امرأة من جيرانها لترافقها . . الى البئر كعادة نساء القرية . . فعندما تريد أن تذهب . . تغلق بابها . . وتنسحب فى هدوء . . وتذهب فقط

الى المعبد عندما تدعوها الروح . . وكان هذا نادرا جدا . . مرة أو مرتين كل عام . . !!

ولكن الناس الأشرار لم يتركوا « جوما بهابى » (العفيفة) فى حالها . . انهم يتقولون عليها أقاويل قذرة .. وكل منهم يروى قصة يحكيها عنها خاصة به . . واننا لا نقـدر أن نغلق أفواه الناس . . ونمنعهم من التقول على امرأة رائعة مثل صورة . . أو تابلوه . . رسمه فنان مبدع . . !! وتعيش وحدها فى منزل . . يتركه الرجل يوميا من مشرق الشمس . . حتى آخر الليل . . !!

نعم . . لقد كانت جوما بهابى امرأة لم يخلق لها مثيل . . ناصعة البياض كاللبن الصافى . . وعيونها . . آه من عيونهـا الواسعة الشديدة البريق . . ! كعيون الغزال . . وشعرها الطويل الساحر كالليل . . ينسدل فى جدائل وخصلات تلهب الخيال . . يغطى كتفيها . . ويتماوج على ظهرها . . وكانت فارعة الطول . . هيفاء القوام . . وكانت عندما تتمدد على مقعدها الخشبى الطويل فى صحن دارها ، تبدو منها الأيدى الناعمة الملساء كالحرير . . والأرجل الناصعة البياض . . الدقيقة القدم . . !! انها ساحرة . . ساحرة . . وكل ما فيها يفتن . . ! ويثير . . ! ويلهب . . ! وكانت تغسل وجهها عشر مرات يوميا على الأقل . . وحتى فى الأيام القارصة البرد . . القاتلة الصقيع . . فانها كانت لا تتوانى عن أن تكسر قطع الثلج المتراكمة فى الحوش . . وتأخذ بها حمامها . . !!

لقد رأى أهل القرية كل هذا . . وذهلوا وتعجبوا . . وتمادوا فى تلويث سيرتها بالباطل . . وكلما كثرت عنها الأقاويل . . كلما أحببتها أكثر . . وتقاربت منها أكثر . . وتعاطفت معها أكثر . . فانها كانت تدعونى (ولدها) عندما ترانى وكلما ذهبت لزيارتها . . تقابلنى بوجهها الحلو الباسم . . ولا تمل أبدا من اكرامى والترحيب بى . . !!

وغالبا ما كنت أريد أن أسأل « جوما بهابى » عن تلك الاشاعات التى يروجها عنها الناس . . !!

هل حقيقة أنه فى ليلة عرسها . . فى اليوم الأول . . الذى أحضرها فيه كيشو الى المنزل ، أنه شرب مع الفتيان حتى ثمل . . وأصبح مخمورا وتسلل الى الاسطبل . . ونام ليلته مع البهائم . . !!!

وأن الفتيان دخلوا عليها مخدعها بعد أن طلوا وجوههم بلون أسود . . وأنها لم تدرك شيئا اذ أنها كانت تضع خمارا أسود على وجهها . . والغرفة تسبح فى ظلام دامس . . وتناوب الفتيان منامهم معها . . وهى تعتقد بأن كل واحد منهم هو زوجها . . ؟؟

وتمنيت كذلك فى أن أسألها : هل حقيقة أنها عندما ذهبت الى المعبد بعد حمامها الصباحى . . أمسك الكاهن بذراعها . . ولم يكن هناك أحد ليرى هذه الخطيئة . . !! الا الله وحده . . !

وكانت هناك واقعة الحارس الليلى « مارو » ، وكنت أود أن أسألها عنها . . فانه قيل بأنه ذهب فى ليلة الى صحن دارها . . وكان كالوحش الهائج . . ووو !! وفعل ما تمنى أن يفعله . . ؟

وأشاع السافل هذه الحادثة فى كل مكان . . وطبل . . وزمر لها حتى عرفها كل أهل القرية . . !!

ورغبت أيضا فى أن أسألها : هل حقيقة ما يقال من أنها كانت تستحم فى المجرى . . وأتى ابن العمـدة وسرق ثيابها وهرب بهـا . . ؟؟

وكنت فى منتهى الفضول لأعرف ما اذا كان حقا ما تشيعه نساء القرية المجاورة عندما سألنها عن تلك الحادثة التى حدثت فى ليلة زفافها . . ؟ والتى شاعت وانتشرت . . بأن أجابت :

« ربما . . لقد كنت فى شدة التعب فى تلك الليلة » .

وعندما سألتها النسوة أيضا عن حادث الحـارس الليلى : أجابت :

ـ وماذا يفيد ذلك غير ازعاج الناس واقلاقهم من نومهم فى منتصف الليل . . ؟؟

وقد رغبت كذلك فى أن أسأل « جوما العفيفة » وهل هى قد قالت لابن العمدة عنـدما سرق ثيابهـا وهى تسـتحم فى المجرى . . ؟

« لا . . لا . . ليس هنا . . أننى أشعر بخجل . . وسألحق بك خلف الخميلة . . ؟ ؟ »

على أى حال . . فأننى أبدا لم اسألها عن كل تلك الأحداث . . وكيف أجرؤ حتى على سؤالها مثل هذه الأسئلة . . وهى تبدو بريئة . . وديعة . . كلها ثقة وصدق وحنان . . ، وبجانب هذا ، فانها كانت تعلمنى دائما التعاليم الصالحة . . والمبادىء القويمة . .

كانت دائما تقول لى :

« لأن كل الذين يتكلمون بالصدق .. ينضح العسل من أفواههم .. ويتذوقونه حلوا على شفاههم .. أبدا لا تكن كاذبا .. أبدا لا تكن جاحدا .. ان الله يعطيك أفضل ما عنده .. ويجب علينا آن نكون دائما شاكرين عطاياه وهباته الثمينة لنا ! هؤلاء الشاكرون .. لهم قوة هرقل .. ويجب ايضا ألا يفقد المرء أعصابه فى أشد الأزمات وأكبر المصائب والكوارث .. هؤلاء الذين لا يدعون للغضب مجالا فى تصرفاتهم .. لهم رائحة عطرة تعطر المكان من حولهم .. وتعطى بلسما هادئا شافيا للمحيطين بهم .. من لا تسحقه كبرياء النفس ، من لا يتكبر .. ويتضع ! تنبعث من عيونه أشعة القوة والثقة بالنفس .. ويشع النور منهم .. ويضفى الراحة والحنان والحب على من حولهم . . ! !

بمثل هذه الكلمات والمبادىء القويمة الصادقة .. كانت تغذينى دائما « جوما بهابى » لذا فقد آمنت بأنها ملاك .. ملاك نزل من السماء .. وما كل هذه الاشاعات .. الا افتراءات

كاذبة .. ولـــكن ..؟؟ من يقــدر أن يخرس ألسنة النـــاس فى التقول ..؟؟ من يقدر ..؟؟

وقال النـــاس أن « جـــوما بهابى » ســـاحرة .. ومن عالم الأرواح .. ويكفى فقط أن تنظر الى أى رجـــل ليسقط صريع سحرها .. وأنها لذلك لا تبرح أبدا عتبة دارها .. بل تمكث فى ساحته لتعمل التعاويذ .. وتحرق البخور .. وتتمتم بالأدعية .. لتزورها الأرواح .. وترعاها ..!!

وقال قائل : انها ملاك هبط من السماء .. وهل اذا ما كانت بشر مثلنا ..! ما الذى يدعـــوها الى زواج رجـــل عفن كئيب قذر مثل « كيشو » ؟ نعم .. نعم ..! لا بد وأن يكون هذا ، وأنها عند سقوطها من الســـماء .. وقعت فى دار « كيشو » ، وكان هو أول رجل يتلقاها بين ذراعيه .. لذا كان من حقه أن يستحوذ عليها .. ويتملكها ..!!

وقال القرويون بأن « جوما بهابى » لم تنجب أطفالا .. لأن الملائكة لا يتركن أطفـــالهن يعشن على الأرض ، وقالوا أيضا بأنه لاثبـــات أنها ملاك هبط من السماء .. بأنه حينما أخـــذها الكاهن بين أحضانه فى المعبد .. لم تحترق السماء .. أو تنقلب الأرض .. فهما الاثنان من أهل السماء !!

وكان كل فتى قروى يراود نفسه قائلا :

« ان عندى من نساء الأرض الكثير .. واستطيع أن أتذوقهن فى أى وقت .. وما يجب على الا أن أركز هدفى على هذه المرأة التى ليست من عالمنا الأرضى ..!! »

وفى يوم .. كانت « جوما العفيفــة » تجلس معى فى ساحة دارها .. تتبــادل أحاديث شيقة .. واذا بقــرع على البــاب الخارجى .. فقلت أنا :

ــ قطعا هو عمى « كيشو » ..!

أجابت :

ــ لا أظن ذلك .. فهذا ليس وقت عودة عمك « كيشو » !

وتركتنى ، وذهبت لترى من بالباب .. ومرت لحظة سمعت على أثرها صفعات .. « تراك .. تراك .. » وقمت مسرعا لأرى ما حدث ..!!

وهنــاك .. رأيت الفتى ابن العمــدة مسندا ظهــره الى الباب .. فاغرا فاه .. واضعــا يديه على وجنتيه الملتهبتين من شدة الصفعات .. ورأيت « جوما بهابى » ترفع قدمها .. وتركله بكل قوتها فى بطنه .. لتلقيه خارجا فى الشــارع .. وتعــود ، لتغلق الباب بكل هدوء ..!!

والتفتت الى وهى تبتسم .. وكأن شيئا لم يحدث أبدا .. وقالت :

ــ هؤلاء التعساء .. يتخيلون أفكارا فى رؤوسهم عنــدما يرون امرأة وحيدة .. ألا يعرف هذا السفيه بأن ولدى معى ..!!

« ان المرأة بلا زوج .. ولا ولد .. تشبه شجيرات العنب .. يستظل الرجال بظلها .. ويقطفون ثمارها أيضا ..!! »

□ □ □

آه .. لو كنت معي



لو كانت عندي اجنحة .. كنت اطير بعيـدا .. !

وكان المنزل يقع تماما فى منتصف المدينة .. لقد كان منزلا متعـــدد النوافذ .. تواجه معظمها الشارع المزدحم .. وفى كل نافذة ، تقف عمة ..؟

انها لا تنظر فى اتجـــاه المنظر الأمامى .. ولكنها تتكىء الى الخلف مائلة على الحـــائط .. عين ترنو الى المناظر التى تدور من حولها ، البـــاعة وهم يبيعون خضرواتهم .. الشباب وهم يحاولون بيع تذاكر السينما فى السوق الســـوداء .. والمرضى وهم ينتظـــرون الدواء ، جالســـين على المقعـــد الطـــويل فى الصيدلية ؟

والعين الأخرى .. تراقب ما يجرى فى الداخل .. وتسلط على بنات الأخ ..؟

كانت البنـــات يجلســـن القرفصـــاء على الأرض ، يؤدين واجباتهن المنزلية فى هدوء ..؟

الكبرى بطبيعتها .. خجول ومنعزلة .. كانت تكتب مذكراتها عن تاريخ الهند القديم ..

الوسطى .. فى يدها دائما .. اما مسطرة .. آو قلم ملون .. كانت مغرمة بتلوين البحر على الخريطة باللون الأزرق ..؟؟

والثالثة ..؟ الصغرى .. قلقة كالعادة .. وتنظر الى الساعة من وقت لآخر ..

ــ هل يمكننى أن أذهب الى المعبد من فضلك ..؟

أجابت العمة الكبرى : لا

ــ هل أذهب وأستعير المذكرات من ريكا ..؟

ــ ردت العمة الكبرى : لا .. لا

ووقفت العمــات كالحرس فى مواقعهن ..؟ ينتظرن حلول الظلام .. وينظرن الى أم البنــات وهى تخترق الممــر الطويل المظلم .. وضــوء من مصباح معــدنى قديم تحمــله فى يدها اليمنى ..؟ وباليــد الأخــرى تحــوطه تفــاديا للهــواء الذى قد يطفئه .

اخترقت الممر .. وهى تمشى ببطء مقصود .. ووقفت أمام صورة .. ركزت عليها ضوء المصباح .. ونظرت اليها بتقديس ، ثم مشت نحو العمات ومعها كتاب الطقوس الدينية .. وبعنــاية مركزة ..؟ لمست جبين كل منهن لمسة رضــاء ! وكذلك فعلت للفتيات .. واخترق الضوء المكان ..؟

ــ هل يمكننى أن أذهب الى المعبد ..؟

أجابت العمة الكبرى :

ــ ان الوقت متأخر جدا الآن ..

وأصرت :

ــ هل أحضر تلك المذكرات من ريكا ..؟

قالت العمة :

ــ ولم العجلة ..؟ كل شيء يمكنه الانتظار .. عودى الى كتابك ..

وعادت الصغرى الى كتابها :

« لو كنتم معى .. كنت أحب أن أتكلم معكم عن عالمنا هذا الجميل ..؟

ــ من قال هذه الكلمات ..؟

ــ باندبت جواهر لال نهرو ..؟

ــ ولمن قيلت ..؟

ــ للأطفال ..

ــ وفى أى درس ..؟

ــ فى درس « هذا العالم الجميل الذى لنا .. »

« لو كنتم معى » ..؟

واستمرت الصغرى فى ترديد أبياتها من المختارات الانجليزية .. وركزت على هذه الجملة .. « وفى حالة جملة مثل لو كنت معى .. فان الحرف لو .. يكون .. وكنت فى الماضى و و .. »

وغاب الصوت ..؟

وذهبت الصغرى الى المدرسة ... والتى كانت لا تبعد عن المنزل الا بمقدار عشرين ياردة فقط .. بناء ضخم ، والدراسة لفترتين ، كانت هى فى الفترة المسائية .. وفى الرابعة والنصف .. وبالرغم من تدفق المياه ، تمردت .. وانزلقت الى ركن من الشارع .. كان هناك قريبا من المدخل المؤدى الى المعبد .. ونظرت اليه .. ولمست أكمامه ذراعها .. وكانت تسمع نفسها وهى تلهث ..؟

« فى السادسة مساء .. ساحة المحطة ..؟ »

وأسرعت عائدة الى الفصل .. وكان المدرس قد ابتدأ أن يكتب على السبورة ..؟

وأبدى المدرس ملاحظة .. قائلا :

ـــ لقد تأخرت ..؟

ـــ اننى كنت فى مؤخرة الفصل ..؟

وعاد المدرس الى كتاباتها ..؟

« لو كانت عندى أجنحة .. كنت أطير بعيدا .. حالة مثل هده الجملة فان حرف لو .. وعلى هذا النمط استمرت الفتاة ...؟؟؟ لقد داعبت أكمامه .. ذراعها .. وكان صوت المدرس مغلقا تماما من وعيها ..؟؟

* * *

محطه السكة الحديد .. فى السادسة .. كان هناك بجوار عربة الموز ..؟؟

وتطلعت عيناها فى اتجاه الكوبرى ،، عمها آتيا من العمل ..؟ أى أحد تعرفه ..؟ ودخلا الغرفة العائلية بالمقهى .. وقبل أن تضع حقيبتها الضخمة على المنضدة .. كانت يداه تحيطان بركبتيها .. لم يطق صبرا .. ولم يستطع الانتظار ..؟؟ مع تصميم من الساقى بعدم ملاحظة أى شىء .. كان هذا من ضمن واجبه اليومى ..؟

هذان الاثنان .. لم يكن لديهما الشىء الكثير ليقولاه .. وبعد وقت مصبا ..؟

وكان السوق من تحت الكوبرى مزدحما .. واخترقاه سويا .. وسط الزحام ..؟؟ وفجأة ؟ رقص وسطها رقصة الجيرك .. لقد شعرت بيديه تحيطان بها فى حرارة ..؟؟

وأخذت هذا الشعور معها الى المنزل .. وشعرت به أكبر عندما حضرت والدتها حاملة مصباحها المضىء .. استعدادا لصلوات المساء ..؟

وأغرقت رأسها فى كتابها ..؟

ـــ ان الامتحان فى مارس .. هل يمكنها أن تذهب الى فصل خاص ..؟؟ انها ضعيفة فى الحساب .. والدروس فى هذا الفصل ربما تساعدها ..؟

أجاب والدها :

ـــ بالطبع .. بالطبع ..؟؟

وأوضحت :

ـــ فقط .. من الخامسة حتى السابعة ، بجوار « دونجريوادى » فقط الحساب ؟

ـــ طبعا ، ليست لديك أية مشاكل بالنسبة لباقى الدروس ..؟

ولم تجب الصغرى .. انها تعرف أنه حتى بالنسبة للحساب .. لا توجد لديها معه مشاكل ..؟

وانتهت الدراسة .

ـــ هل يمكننى أن أذهب الى سوشما هذا المساء ..؟

قالت العمة :

ـــ لماذا ؟ ألا يمكنك المذاكرة بالمنزل ..؟؟

ـــ اننا سنحل أوراق الامتحان معا ..

ـــ اذهبى فى الثالثة .. فورا بعد تناول الشاى .. وعودى ثانيا فى الخامسة .. أو الخامسة والنصف على أكثر تقدير ..؟؟

وكانت المختارات الانجليزية منبسطة أمامها :

« ان الكبار لهم طريقة غريبة فى وضع أنفسهم فى الجماعات .. انهم يبنون السدود والحواجز .. اننى أتمنى لكم أن تأخـذوا وقتا طويلا لتسيروا فى طريق النمو الكامل .. »

كان هذا الدرس لجواهر لال نهـرو .. صعبا ، واضجعت على الأريكة ، عندما عاد والدها من عـمله .. كانت تغط فى نومها .. والوسـادة تنام فى أحضـانها .. وايصـال الدرس الخصوصى .. يتراقص فى يدها اليمنى ..؟؟

□ □ □

قال الزائر :

ـــ أليس الجو حارا ..؟

قالت العمة :

ـــ نعم ! فان جو أبريل دائما حار ..؟

ودخلت الصغرى تحمل كوبا من الشاى .. وأربع حبات من المانجو الناضجة ..؟

استمر الزائر :

ـــ انها تبدو سمينة الآن ..؟؟

وأوضحت العمة :

ـــ لقد انتهى الامتحان .. لا قلق هناك ..؟

* * *

وفى أوائل يونيو .. كان هناك اختناق .. بلا أى بادرة من بوادر المطر .. هل تأخر هذا العام ..؟

والآن .. هاجت اشتباهات العمات ..؟ وببعض الاستفسارات وجدن ما يبحثن عنه ..؟

— من هو ..؟

— انه واحد من الطبقة الدنيا ..؟؟

— وانحنت رأس الأب .. وعكفت الأم على اعـداد فتايل القطن .. لاشعال المصابيح ..؟

— زواج .. هل أنت مجنون ..؟

— دعونا نسأل ثانيا ..

وعملوا خطتهم .. ان الفتاة محبوسة فى داخل الحجـرة ، وغير مسموح لها بتاتا أن تتخطاها ..؟؟

كانت المستشفى من ثلاثة طوابق ، هم يقولون أن الطبيب هو أفضل أمل ليجدوا عنده حل هذا الشيء هذا ليس وقتا للقلق من ناحية التكاليف ..؟

ان لكل العمات مدخراتهن .. مائتان من كل واحدة منهن .. المجموع ستمائة ..؟؟ وأطرق الأب ..

وجلسـت الأم تخض اللبن بقضيب من الخشـب لتصنع الزبد ..؟؟

وجلست الفتاة فى فراشـــها . انها تشعر بشىء يتحـــرك فى داخلها ، انها تريده الآن .. معها . قريبا منها ، إنها تشعر بيديه تحت صدرها !! ولكن .. لم تكن هناك الا التحركات الخفيفة فى أحشائها ..؟؟؟

وكان الليل .. عنـــدما نقـــلوها الى المستشفى وأعـــدوها للعملية ..؟؟

وكانت الحركة الآن .. واضحة تماما فى داخلها .. وأدارت جنبها .. وابتدأت الحقنة تفعل مفعولها .

وانتهى كل شىء .. انها لا تشـــعر بتحركات الآن .. فقط البلل تحت قدميها ، وهرعت الأم بالغطاء ..؟؟

سألت العمة الكبرى :

ـــ لا تذهبن .. فقط دقيقـــة .. ان كل شىء جامد متحجر هنا ، ألا يمكنهم ايقافه ..؟

واستدارت العمات خارجا :

« انها الآن .. بركة من تحتها .. وانها لتفقد حساب الزمن . لا تحركات بداخلها ..

« انها تريد أن تنام .. ولكن هذه البحيرات التى تغرقها ..؟؟ كررت بصوت واهن :

ـــ قولوا لأمى أن تمنعه ..؟

وكان هناك طوفان من الزوار فى الممر الخارجى ...

ــ لقد سمعنا أنها ليست على ما يرام ، لذا .. حضرنا ..؟

قالت العمة الكبرى :

ــ انها قرحة فى الكبد ..

قالت العمة الثانية :

ــ انه احتقان فى الكلية ..

وتبسم الزوار فى فتور .. واستداروا بأنظارهم الى الوراء ..

وكان الليل متأخرا ..؟

سألت الأم زوجها :

ــ ألا يمكنهم ايقافه ..؟؟

ونظر الأب الى الهيكل الراقد أمامه .. وسار الى الخارج ..؟
وتحرك الهيكل الراقد أمامه .. وأخذ طريقه الى الهذيان ؟

« أبدا لا أنسى عمرى .. والمسافة التى تفصلكم عنى .. »

ــ من قال هذا ..؟

ــ بانديت جواهر لال نهرو ..

ــ لمن قبلت ..!؟

ــ للأطفـــال ..؟

ــ .... « قولوا لأمى أن تأخذه بعيدا ... »
كانت تحتضر ..

وأحضر الأب كتاب الصـــلاة وجلس بقــرا .. والأم تعد حبات مسبحتها ..؟

وفى الممر خارجا .. وقفت العمـــات .. يواجهن طوفانا من الزوار ..؟

كانوا يرددون :

ـــ انها ارادة الله .. انها ارادة الله ؟

□□□

الحـــــــرب



اذا كان كل الرجال يموتون ..
فلم لا يموتون فى ارضهم .. ؟

أنني أجلس هنا .. وحيدا مع نفسي ، حسن .. هناك ذلك الرفيق..!! زجاجة الويسكي .. وكوب طويل ضيق !..الويسكي يسكرني .. أرتشفه رشفة رشفة .. ببط .. ببطء شديد .. لست في عجلة من أمري ، ماذا هناك ؟ لا قلق .. حسن جـدا .. في أوقات تهيج بي الذكرى ..!

أتذكر مستر بيريرا ، أين يمكن أن يكون الآن .. هل يكون في البرتغـال .. أو في أنجـولا ..؟ ميت هو أم حي ..؟ وابنته الصغرى .. تيريزا .. حبيبتي .. حبي ، أين تكون الآن .. هل يمكن أن تكون قد تزوجت ..؟

لقد احترقت سيجارتي ..!

اليوم هو التاسع عشر من ديسمبر..انها أفراح جوا ..ولكن ماذا عني أنا ..؟ انني أجلس هنا وحدا كالشبح ، في الغـرفة الملتصقة بغرفة أخي ، انه نتكلم مع شخص ما عن حرية « جوا » انه يقول ان الحرب في تصوره أبدا لا تأخذ مكانها .. هو يشعر بأن تحرير جوا لم يكن بها حرب على الاطلاق .. انها ابتدأت في اليوم السابق لتنتهي في اليوم التالي ..!! وهذا ما لا يظهر على شاشة السينما !

أنت أيها الأبله ، أنت لا تعرف شيئا .. ان الحرب لم تنته في ذلك اليوم .. انها فقط .. ابتدأت ..!!

أنني أصب مزيدا من الويسكي في الكأس .. وتدريجيا .. تذهب كلها الى معدتي .. وأنني لأذكر بأننا قد اعتدنا أن نجلس هكذا .. جاري مستر « بيريرا » وأنا ..!

كان مستر بيريرا رئيسا للشرطة ، في حوالي الخامسة والأربعين .. طويل القامة ، أبدا لم استطع أن أنسى نظرات عينيه ، لقد كنت أصغر منه سنا .. فقط في الخامسة والعشرين ، وكان هو مسيحيا . وأنا هندوكيا ..!! وفي العام الخامس لي في دار المعارف .. واستعد لدخول مجلس الشورى ، ومع ذلك .. كنا صديقين .. بالرغم من كل هذه الفوارق ..!

كانت صداقتنا حميمة ، فلقد تعودنا في كل يوم من أيام الآحاد أن نجلس في منزلنا نشرب .. وفي مرة من مثل هذه المرات .. أتى الى قائلا :

ـــ هل تعرف يا بابازينو : أن ريتا سوف تتزوج رجلا أبيض ..؟

ـــ تهانئي ..؟

ـــ هل تقدم تهانئك ..؟ هل تعتقد أن كل فتيان « جوا » قد ماتوا حتى لا تتزوج الا هذا .. دعها تفعل ما تريد هي وأمها ..!!

نعم .. لم يكن مستر بيريرا راضيا عن زواج ابنته زيتا من رجل أبيض .. بالرغم من كونه هو نفسه رجلا أبيض ولكنه ولد فى جوا وأحب جوا ..!!

فى الحقيقـــة أن الولد الأبيض كانت له مكانة طيبة ، كان صابطا فى الجيش .. ولكن مستر بيريرا كان يفضل أن يكون زوج ابنته رجلا من « جوا » وليس أجنبيا ..! ولو أنه لم يقل هذا لابنته .. ولم يجرؤ أن يقوله لزوجته .. ولكنه قالها لى :

ـــ أنت تعرف يا بابازينو ، أن هؤلاء البيص لا ينتمون الى مجتمع فاصـــل .. ان جلدهم أبيض .. حسن .. ولكنهم فى داخل قلوبهم لا يوجد بها الا السواد .. سوف أقول لتيريزا لا تتزوجى أجنبيا .. عليك أن تختارى زوجك من « جوا » !! ان هؤلاء البيص فقط يقولون أشياء كبيرة ..!!

وكانت بيريزا هى الابنـــة الثانية لمستر بيريرا .. كانت فى التاسعة عشر من عمرها ، وصديقة أختى زايو الحميمة ، انها لم تكن جميلة المظهـــر .. ولكن عيناها .. عيناها كانتا فى الحقيقة سماويتين .. لقد كنت أشعر دائما بأنه يمكننى أن أظل محدقا فيهما ساعات وساعات .. دون أن أشعر بالتعب . وكانت تأتى الى منزلى مع أختى زايو ، وهى تتهادى بالسارى .. كم كانت تبدو ممتعة فى تلك الأوقات ..!

ولكن .. ما جدوى هذه الذكريات المرة الآن ..! لقد اعتادت أن تشاهد كل مباريات كرة القدم .. وأننى أنا شخصيا من كبار

هواة الكرة ، أبدا لم تفتنى مباراة .. واعتدنا أن نعود سويا الى المنزل بعد هذه المباريات ، وفى يوم سألتها بحرص :

ــ أخبرينى .. هــل حقيقــة تفهمــين شــيئا من هــذه المباريات ..؟

ــ لا ..!

ــ اذن .. لماذا تحضرين كل مباراة .. لماذا ..؟

ــ هل أخبرك ..؟

ــ نعم أخبرينى ..!

ــ وبدا عليها الانفعال قليلا ثم همست :

ــ أننى أحضر هذه المبــاريات فقط لأجلك أنت .. فانك لا تترك أية واحدة دون مشاهدتها ..!

لقــد كانت مولعة بى .. وكنت أنا متيما عاشــقا لعينيها .. وجعلنا الحب مجنونين .. وازدهر حبنا كالوردة .. ولكننا لم نجعل أى مخلوق يدركه .. أو يعــلم عنه شــيئا ..!! الأشجار والأطيار فقط من كانت شاهدة على حبنا ، ودائما حينما أكون مع تيريزا .. أتذكر قول والدها مستر بيريرا :

« لسوف أطلب من تيريزا أن تختار زوجها من « جوا » ..!!

ويا للسعادة .. فأننى كنت من جوا ..! ومن مكان ما .. انبثق لى شعاع من الأمل ..!!

وتزوجت ريتا .. وأنجبت ولدا ..!

وفى الحقيقة ، كان الطفل حلوا .. كان مزيجا من الاثنين .. بعيون جميلة زرقاء ..!

وجلب مولد الحفيد سعادة بالغة لمستر بيريرا ، ونسى فى لحظتها كراهيته للبيض ، واحتفلنا بسعادة ومرح بمولد الطفل ..!

فى ذلك اليوم ، وكنت عائدا لتوى من المكتب .. وجدت الصمت يخيم على منزلى ، خطوت الى الداخل .. كانت أمى نائمة ومغطاة بملاءة .. وزايو بجوارها .. عيناها محمرتان والدموع تتساقط ..!!

سألتها : ما الخبر يا زايو ..؟

أجابت زايو وهى تشهق بالبكاء : لقد اعتقل البوليس باهو .. انهم يقولون انه كان يساعد الثوار الهنود ..!

عند سماع هذا .. ثرت غاضبا على أخى ... من أخبر ذلك الفتى أن يفعل ذلك ..؟ أنا أكد وأتعب هنا طول اليوم حتى أتمكن من تعليمه .. وهو .. بدلا من المذاكرة ينضم الى نشاط سياسى ..! اننى أخاف أن أفقد وظيفتى ..!! كيف اذن أدبر أمر عائلتى .. ليس لدينا أى منبع من منابع الدخل ، اننا فعلا نتقاضى معاش والدى ، ولكن ماذا عن زواج زايو ..؟ تعليم الصغار الثلاثة ..؟ كيف يمكن عمل كل هذا ..؟ وأنا أيضا ..

أريد أن أتزوج .. لقد تزعزع كل مستقبلى ، ماذا أفعــل ..؟ ماذا أفعل ..؟

وفجأة تذكرت مستر بيريرا ، وحين هممت بالذهاب اليه ، كان هو قد وصل بنفسه الى منزلى ، ومعه أخى ..!

قال : هذا هو أخاك .. اهتم به ..

ــ شكرا جــزيلا لك ، سترى كيف أزجــره الآن .. أى رجل أنت يا ..

ــ لا .. لا .. انسى كل شيء يا بابازينو .. لا تعاقبـــه ولا تؤنبه .. انه يشعر بأن جوا يجب أن تكون حرة .. حرة ..!! أننى أصلى من أجله ليباركه الله ، لقد فعل شيئا ايجابيا .. أننى معجب به كل الاعجاب .. ولا يمكننى الحديث بحرية الا معك أنت ، اذا لم آكن قد أطلقت سراحه ، فان الله لم يكن ليغفر لى أبدا .. أننى أشعر بسعادة لأننى ساعدت واحــدا من جــوا .. مناضل من أجل تحرير أرضه .. باركه الله ..!!

وفجــأة .. غادر مستر بيريرا المنزل مسرعا قبــل أن أرى الدموع وهى ترقرق فى عينيه .. ووقفنا مشدوهين أمام خروجه المفاجيء ..!

هذه هى الأيام القلقة التى كانت تسود « جوا » ، واعتاد الناس أن يتكلموا بالهمسات .. وفجأة ترامت الأنباء بأن الجيوش الهنــدية تقترب من حــدود « جوا » وكان اللغط يشتد حول

انسحاب الجيش ..! وتعودنا أحيانا أن نسمع أزيز الطائرات التى تنتشر فى الفضاء ، وكل نشاط الشعب ، كانت تظلله سحابة من القلق وعدم الاستقرار ..! كل واحد يشعر بأن هناك شيئا ما .. يحدث ..! ولكن .. كشىء محدد . لا يقدر أحد أن يعرف ، وفى الوقت نفسه ، أرسل الأهالى عائلاتهم الى البرتغال .. وكانت قد مرت أيام كثيرة على آخر زيارة قام بها مستر بيريرا لمنزلى ..!! وفجأة فى يوم ما .. أتى لزيارتى ، وجلسنا نحتسى شرابنا صامتين ، وفى النهاية سألته :

— مستر بيريرا ، أين دونا ماريا .. وتيريزا .. أننى لم أرهما منذ وقت طويل ..!!

— لقد سافرتا ..!!

— سافرتا .. الى أين ..؟

— الى البرتغال ..!

وأفرغ بيريرا كأسه فى جوفه دفعة واحدة ..!

— يا للسماء ..! هكذا .. دون أن تخبرنا ..؟

وقد تذكرت ، انه فى يوم ما . . قبل رحيل ريتا الى البرتغال مع زوجها ، أن أهدتها أمى أكلاتها المفضلة من الباباز والبيكلز (الفطير والمخلل) . . الذى تتفنن فى صنعه أمى وحدها . . وهذا كنوع من الذكرى . . كما وضعنا نحن أسورة ذهبية فى رسغ الطفل ، وعندما حضرت ريتا لوداع أمى . . عانقتها أمى وبكت . . !!

ومجمل القول . . فان العلاقة بيننا كانت وثيقة حميمة مع عائلة بيريرا كلها . . وها هما قد ذهبتا دون أن تخبرانا . . ! كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ كيف يمكن . . ؟؟ وحتى تيريزا حبيبتى . لم تخبرنى . . ؟؟

وأخيرا حضرت لأعرف كل شيء من مستر بيريرا . . لم ترغب تيريزا فى السفر ، هى ومستر بيريرا كانت رغبتهما البقاء فى جوا . . اذا ما كان كل الرجال سوف يموتون . . فلم لا يموتوا فى أرضهم . . فى بلدهم . . التى ولدوا فيها . . ؟ ولكن دونا ماريا أصمت أذنيها عن سماع أى شيء ، وقررت أن تسافر هى وتأخذ تيريزا ومستر بيريرا أيضا . . !

ولكن ، فى نفس ذلك اليوم الذى قررت فيه السفر ، ابتدأت عمليات « جوا » ودخل الجيش الهندى اليها . . وحررها فى يومين . . وأخذ مستر بيريرا . . أسيرا ، وأراد أن يذهب الى البرتغال . . وتعودت أن أزوره ، وفى بعض الأحيان . . كنت أحمل له معى السجائر ، ومرات أخرى الشراب . . وكان من الصعوبة أن تجرى بيننا أية أحاديث . . ! كان فقط ينظر الى وجهى بنظرات جرداء . . أبدا لم أفهم . . ولم أتمكن من فهم تعبيرات وجهه . . !! أبدا لم أجد فى تعبيراته ما أبحث عنه . . فقط كنت أرى الحزن . . الحزن العميق لأنه سوف يغادر « جوا » . . !!

وأخيرا ذهب الى البرتغال . . وقابلته فى منزله فى ليلة رحيله ، كان يبكى كالطفل . . بدموع غزيرة . . وسألنى :

ـ لماذا تحبنى . . لماذا تحبنى هكذا كثيرا . . ؟ مهتما بى كل الاهتمام . . ؟؟ لماذا لا تتوانى عن زيارتى هنا . . كل هـــذه الأيام . . اننى أشعر بأننى يجب ألا أتركك ! ولكن عندى شعور أقوى بأننى يجب أن ألحق بعائلتى . . سأبعد عنك . . سأتركك . . سأغيب عنك الى الأبد . . الى الأبد . . الله معك . . !!

وذهب بعيدا . . بلا جواب على كل ما تساءل عنه . . ؟؟؟

علاقتنا كانت علاقة انسانية . . ولكننى حتى الآن أشعر بكدر عميق عندما أفكر فى مستر بيريرا . . ؟؟

أى حب كبير يكنه لى . . ؟ أى اخـــلاص . . وأية ثقة . . ؟ وماذا أنا . . ؟ ماذا أكون . . !!

وحتى اليوم . . فأننى أتعجب . . ماذا يظن مســـتر بيريرا عنى ، عندما يصل الى البرتغال . . ويعرف بأن تيريزا ستكون أما لطفلى أنا . . !

حقيقة . . ماذا . . ؟ ماذا . . . ؟؟

وربح الجولة



□ انه أحلى بقشيش .. يمكن أن يعطى لزوجة « جوكى »

ـ اذن . . أنت الجوكى الجديد . . ؟

وابتسم بريانت فى أدب . . ورفع أنظاره الى الرجل الطويل الواقف أمامه . . صاحب الحصان . . كان هذا أول حصان هندى يجرى عليه . . ! وكذلك أول مالك هندى . . ! والى حد ما . . ومن وجهة نظر بريانت . . لم يكن هناك أى اختلاف بينه وبين أى مالك آخر . . بل فى الحقيقة ، كان أفضل من جميع أصحاب الخيل الذين عمل عندهم فى استراليا . . !!

وأعاد اللفتنانت كولونيل سينج قوله :

ـ هيه . . ! اذن أنت الجوكى الجديد . . كم حصان رابح ركبته . . ؟

أجاب بريانت : ستة . . بما فى ذلك واحد فى الدربى فى سيدنى . . وآخر فى الكوينز كاب فى ميلبورن . .

ـ ومع ذلك فأنت صغير السن . . !

ـ أننى فى الواحد والثلاثين . . وأركب منذ أن كنت فى الثالثة عشر . . !

ـ لم أتيت الى كالكتا . . ؟

وأوضح بريانت قائلا : أعتقد أننى فكرت فى أننى قد احتاج الى بعض التغيير . . !

حسن جدا . . للآن ، أجاب على كل أسئلة الكولونيل بشكل مرض !!

وانتظر السؤال التالى بشعور كله متعة . . !

وسأله الكولونيل : هل أنت متزوج . . ؟

وأجفل بريانت . . ! ان هذا لم يكن شيئا متوقعا . . !

أجاب بوجل : لا . .

سأله الكولونيل بقليل من الخشونه : مطلق . . ؟

وهز بريانت رأسه ، وأوضح بأنه ما زال عزبا . . وسيظل اصراره الدائم على ذلك . . وأجابه بيأس : ان له أم فى سيدنى . . !!

وترك الكولونيل موضوع أمه . . باطراقة . . ثم عرج الى موضوع الحصان الذى سيجرى به بريانت :

ـ أعتقد أنك تعرف انه قد جرى فى أربعة سباقات من قبل . . !

ـ أجاب بريانت بأنه قد سمع شيئا من هذا القبيل . . !

وأعقب الكولونيل بقوله :

ـ انه ليس على ما يرام . . وأننى أتمنى أن تفعل شيئا لأجله . . !

واستفسر بريانت :

ـ ماذا به . . ؟

ـ الأفضل أن تتكلم فى ذلك مع ابنتى . . انه حصانها هى . . آه . . ها هى « اينو » ، تكلمى مع الجوكى بنفسك . . !

ومن ركن الغرفة . . أجفل بريانت عند اكتشافه وجود شخص آخر . . وبعينيه ، رأى الفتاة التى تجلس هناك فى الركن . . متسربلة بالأزرق . . !

ووقفت متجهة نحوهما ، هنا لاحظ بريانت أنها أطول منه ببضع بوصات . . ولها وجـه قططى مثلث . . وذقن مدبب . . وشبهها بالقط ازداد عندما رأى أذنيها الممتدتان أمام شـعرها الأسود الطويل . . فقط عيناها . . لم تكن عينى قط . . فلقـد أهاجت هذه العينان ذاكرته على مهرة كان قد ركبها يوما . . ! كانت لها نفس العينين السائلتين رقة وعذوبة . . عينان ناعمتان يبرق الشعاع الخاطف منهما . . بهما لون السماء . . بنفس لون ردائها . . فقط . . ! كانت الفتاة متغطرسة ، وبدت كأنها تقيسه طولا وعرضا . . !!

ولم يعجب بريانت قياس الفتاة له . . فبادرها بالسؤال :

ــ ماذا هناك . . ؟ مما يشكو الحصان ؟

والاجابة كانت :

« انه يضرب بالسوط كثيرا » . .

أجاب بريانت بحرص شديد :

ــ أننى لا أحب استعمال السياط . . !

وعبست الفتاة ، وأحنت رأسها معتذرة :

ــ كلهم يقولون ذلك . . كلهم . . كلهم . . !!

ــ هيه . . انه اعتذار لطيف . . اعتذار عابس . . !!

وقال هو أيضا عابسا :

ــ أننى متأكد من أنهم لا يفعلون . . لا يوجد أى جوكى يحب ان يستعمل السوط . .

وأوضحت الفتاة قائلة :

ـ المشكلة هى أنه اذا لم يضرب بالسوط فى الوقت المناسب . . فانه يتراجع . . ولا يسير خطوة واحدة . . ؟؟

وقاطعها الكولونيل :

ـ المشكلة هى . . أنه ليس على ما يرام . . أبدا لم يفز فى أى سباق . . وأبدا لن يفوز . . !

ولاحظ بريانت النظرات الغضبى السريعة التى ألقتها الفتاة . . وحاول هو أن يرطب مشاعرها قليلا . . فاقترح قائلا :

ـ أقترح أنه يجب على أن ألقى نظرة على الحصان . . ؟؟

وعندما رآه . . راعه منظره . . فلقد كان بادى القوة . . رافعا رأسه فى زهو وخيلاء . . ويتحرك جيدا . .

ـ أننى لا أرى به أى شيء . . !!

ورفع الحصان أنظاره . . فى تطلع صامت اليه . . ثم خب ناحية سيدته فى دلال لتربت عليه . . ومد بريانت يده على رأس الحصان مداعبا . . ! وسأل :

ـ من هو صاحبه . . ؟

أجابت الفتاة :

ـ برنسبس براديس . . فتاة ايرلندية . . !

ـ اننى سمعت عنها . . ان الحصان كان يدعى « ذلك الحصان » وأعتقد أن مدربه هو ماكتافيش . . !

على أى حال ، فان هذا هو الحصان الأول الذى سوف يتعامل معه فى كلكتا . .

قال :

ـ انه على ما يرام . . ليس به أى شىء . . !

وربت على رأس الحصان . . فتمايل طربا . . !

سألها : هل ستحضرين الى السباق يوم السبت . . ؟

ـ بالطبع . . فانه لا يفوتنى ولا شوط . . خاصة وأن ذلك الحصان سيشترك فيه . .

وقال بريانت : ولا تنسى بأننى أنا الذى سأجرى به . . !

ـ هل سيكسب . . ؟؟

وهز بريانت رأسه . . من الأفضل لها أن تنتظر . . يجب عليه أولا أن يتعارف مع الحصـــان . . لقد حملوه متاعب أكثر مما يتحمل . . أنه أبدا لم يتعامل مع أصحاب الخيل من قبل . . بل هو دائما مكلف فقط بامتطائها ، والجرى بها فى السباق ثم فى مقابل ذلك هو يتقاضى أجرا . . !!

لقد وجد نفسه عاجزا تمام العجز عن الاجابة . . !!

وأتى يوم السبت . . مشرقا بهيجا ، وكان عليه أن يشترك فى الشوط الثانى ، الرابع . . الخامس . . السابع والثامن فى هــذا السباق . . وسيجرى بذلك الحصان فى الشوط السابع . . !!

وفى أثناء الجرى . . اذا بالحصان يقفز بجنون . . ويطــوح براكبه بعيدا ليصطدم بالسور ، ويسقطه سقطة مروعة . . ؟

وبركن عينه . . رأى بريانت قلق « اينو » وهى تسرع اليه متسائلة . . منقطعة الأنفاس . . !!

ـ هل أنت على ما يرام . . ؟ هل أصابك ضرر . . ؟

وفكر بريانت . . هذا الحصان اللعين . . الغادر . . ان أى جوكى آخر مكانه . . كان قطعا يرفض رفضا باتا أن يجرى بمثله . . !

وبالطبع . . لم يربح الجولة . . !

وحملوه الى مرقد المدرب ماكتافيش . . وأتى الطبيب ليطبيه . . ولم يتمكن الا من تمزيق حذاءه ليجنبه الألم القاتل الذى كان يمزقه تمزيقا . . !!

وأتت « اينو » لتزوره فى مرقده . . ولم تحقق الزيارة أى نتيجة ، اذ أنهما تشاجرا . . ودعته بالأبلة . . لأنه لا يستحق أن يشترك فى أى سباق . . أو حتى أن يكون جوكيا على الاطلاق . !!

وهو يتهمها بعدم اللياقة والذوق . . وعدم الاقتناع بالمنطق . . ووجه اللوم كله لها ولحصانها الأهوج البارد . . الوقح . . المتمرد . . !!

وغادرته بشعور النمرة التى تشتهى افتراس رجل . . !!

وقال له ماكتافيش :

ــ ما الذى جعلك تسقط هكذا . . ؟ كيف لم تتمكن من الاحتفاظ بتوازنك . . ما الذى جعل فكرك يشرد منك . . ؟ وتغفل عن التحكم فى الموقف . . ؟؟

أجابه بريانت : لست أدرى . . انها تلك الفتاة اللعينة وحصانها الوقح . . !!

وشرد ذهنه للسبب الرئيسى الذى دعا الحصان الى القائه

بعيدا عن الحلبة . . انها هى . . بعينيها الزرقاوين . . وبريقهما الذى سلب عقله . . وهو يراها تتابعه بنظرات كلها تشوق . ورغبة فى الفوز . . انه أبدا لم يحنث بقسم من قبل فى تركيز كل قواه فى السباق . . ؟

ـ انها المرة الأولى فى حياتى التى يتشتت فيها فكرى بسبب تلك الفتاة اللعنة وحصانها الأهوج . . !

قال ماكتافش :

ـ خذ بعضا من البراندى . . انه سيريحك . . ولن يصفو الجو الا اذا أحسنت فى المرة القادمة . . أتمنى لك حظا سعيدا السبت القادم . . ؟؟

وامتطى بريانت صهوة ذلك الجواد للمرة الثانية فى يوم السبت التالى ، بعد أن سمح له الطبيب بذلك . . ؟ ولم يكن عنده أى أمل فى الفوز مع ذلك الحصان اللعين . . ! ولكنه مارس التمرين يوميا قبل السباق . . حتى بدأ أن الحصان قد اعتاد عليه . . !

وكان هذا السباق هو سباق « كلكتا » للفوز بكأس « راجكومارس » . . وبريانت خائف من هذا الحصان اللعين . . وأنه يشك فى أن ذلك الحصان سوف يطاوعه . . !!

وابتدأ السباق . . وفى الشوط الأخير . . تطلعت العيون كلها . . فى توقعات وتكهنات للفائز فى هذا السباق الأخير . . !!

وبجوار هذا الحصان . . كان هناك حصانان آخران . .

يجرى بهما اثنان من أمهر الجوكية فى الهند . . هما : زوسوزا ، وماتيــاس . !

وجرت الخيل . . وعمل بريانت كل ما فى وســعه ليجعــل حصانه يسبق الكل . . ولكنه بعد مجهود شاق . . أصبح ترتيبه الرابع . . ولم يبق على انتهاء الشوط الفاصل الا دقائق . . ؟؟

هنا غلت الدماء حارة فى عروق بريانت ، وهو يشعر بعجزه عن ملاحقة الحصانين الخارقين للعادة . . اللذان كانا يسبقانه .. !!

فما كان منه الا أن رفع سوطه . . وبكل ما أوتى به من قوة نزل به على فخذ « ذلك الحصان » . . ؟

وتوقف الحصان لحظة من هول المفــاجأة . . كانت وكأنها صدمة . . أو تذكرة لم يسبق له أن يتذكرها من يوم أن استلمه الجوكى الجديد « بريانت » ؟

هنا . . انتفض انتفاضة البعث . . ؟ وكأنما قد واتتــه قوة هرقلية جبارة . . ! واذ به يطير بأقصى سرعة تستوعبها العين . . ساحقا فى الحلبة كل الخيل التى تجرى أمامه . . ولم يتوقف الا عند اصطدامه بالحاجز الخشبى للحلبة . . بعد اطلاق صــفارة انتهاء الشوط بالتصفيق الحاد . . !

كانت مفاجأة . . وأية مفاجأة . . !

ووقع نظر بريانت على اينو ، واذا بابتســامة عريضة . . سعيدة . . تزين وجهها ! أمسك برسغها قائلا :

ـــ اينو . . ان لدى اقتراحا أود أن أعرضه عليك . . !!

واستدارت اليه منشرحة . . وبريق السعادة يقفز من عينيها :

ـ ما هو . . ؟

ـ هل تتزوجيننى . . ؟

وضحكت قائلة :

ـ ولكناك أقصر منى . .

وضحك بريانت : لقد جريت بمهار وجياد أطول منك كثيرا . . ؟؟

ـ ولكن . . ما هو الجواب . . ؟ نعم . أو لا . . ؟

ولكنها لم تجب . . ؟ وبدلا من اجابة السؤال . . سألت هى :

ـ هل تعرف ما هو الزواج . . انه حالة لاستعمال السوط فى الوقت المناسب . . ؟

وزمجر قائلا : قطعا أننى لو حاولت أن استعمل السوط معك لرفستيننى رفسة قاتلة . . والقيتيننى خارجا . . ؟

وغمغمت قائلة : حسنا . . هناك شىء واحد فقط هو الممتع فيما لو تزوجتك . . وهى أنك سوف تعطينى بقشيشا طيبا . . ؟

ـ هل أخبرك ما هو أحلى بقشيش يمكن أن يعطى لزوجة « جوكى » . . ؟

وسألت بجدية واهتمام :

ـ ما هو . . ؟

ـ عدم الرهان . . . !!!

□ □ □

وعـــد تحقــق



●● يا الهى .. ما الذى اتى بهذا الرجل الى هنا .. ؟

كان « سودهير » عائدا الى بومباى مع عروسه الجديدة . .
تاركا وراءه آخر معالم قريته ، والأوتوبيس يسير بأقصى سرعته ،
وكان سودهير سعيدا جدا بدفء قربه من عروسه . . وبين كل
آونة وأخرى يرمى طرفه بفخر الى الفتاة الخجولة الصغيرة التى
هى الآن زوجته . . !!

كان من الصعب عليه جدا أن يصدق بأن هذه الفتاة العجيبة
التى لم يكن قد رآها قبـــل خمسة عشر يوما فقط . . هى الآن
زوجته . . رفيقة حياته . . حــدث كل شىء هكذا . . وبسرعة
مذهلة . . وكأنه حلم . . !

والآن .. عنــدما يتذكر استياءه الشديد من الخطابات تلو
تلو الخطابات التى كانت تصـــله تباعا من والديه .. ملحة عليه
ليحضر لرؤية الفتـــاة التى اختاراها له .. لا يتمالك من الضحك
على نفسه .. لقد جعل كل شىء واضحا أمام والديه .. وأخبرهما
بأنه ليس لديه أى استعداد للاقـــدام على الزواج .. حتى ولو
كانا قد اختارا له فعلا الفتاة .. فهذا على الأخص هو ما يجعله
يصر على الرفض .. فانه على الأقـــل لم يرها .. ومن المبـــدأ ..
رفضت كل حواسه أن تتقبل هذه الفتاة ..!

ولكن القدر قرر غير ذلك ..! لقد وقع فى غرام الفتاة من أول نظرة ..! كان يعتقد دائما أن مثل هذه الأشياء لا تحدث الا فى القصص .. والسينما .. ولكنه .. الآن .. قد حدث له ، فتاة مثل « سونيتا » كانت دائما حلمه الوحيد .. وأصبح الحلم .. حقيقة ..!

وهكذ كان .. وتزوج فعلا .. وهو الآن عائد الى بومباى مع عروسه .. وتوقف الأوتوبيس فى محطة جانبية .. ولشعوره بالظمأ .. قرر أن ينزل من العربة ليجد شيئا يطفىء به ظمأه .. وكان على وشك آن يسأل سونيتا اذا ما كانت هى الأخرى ترغب فى أن تلحق به لتأخذ شرابا باردا .. ولكنه عدل عن قراره على الفور .. لأنه كان واثقا من أنها سوف تقول لا . حتى ولو كان الظمأ يقتلها ..!!

وكان خجل عروسه يسعده .. كان شيئا جديدا بالنسبة له .. ومنعشا أيضا .. مقارنا اياه بطرق بنات بومباى الصاخبة ..!

وبدخوله الأوتوبيس .. وجد أن المقعد المواجه لهما قد شغل براكبين جديدين .. كانا زوجين .. من طراز المدنية منظرا وملبسا .. وفكر سودهير أن الفتاة تبدو أنيقة رشيقة وشجاعة أيضا .. آه .. لابد وأن تكون موظفة .. ولكنها كانت سمراء . ولم تكن فى جمال زوجته ..!!

عند هذا التفكير ، تحول بنظره الى زوجته ليرى الفرق بينهما .. حين وجد أن سونيتا أيضا تتفحص الفتاة بعينيها .

وكان واضحا أنها لا تجد أية غضاضة فى أن تتفحص اثنين من الغرباء .. وقد أمتع سودهير أن يراقب التعبيرات التى ترتسم على وجهها ، وكانت تتفحص الفتاة .. مرة .. ومرات .. ومرات . وتعـود لتفحصها بكل تفاصيل ملبسها وشكلها .. شـعرها .. لون سـاريها .. والطـريقة التى اتشحت به لتبرز به معـالم جسدها .. البلوزة المشتعلة .. والمجوهـرات التى تزينت بها بطريقة فنية نظيفة تظهر ذوقها الرقيق .. ولم يكن من الصعب عليه أن يقـرأ أفكار سونيتا .. وهنا مال عليها ، وهو يهمس اليها برقة :

ـــ ولكنها .. ليست فى نصف جمالك ..!

وتلون وجه سونيتا بحمـرة الخجل .. وابتدأت تفرك فى ساريها .. وأرخت من نظراتها الى الأرض خجلا .. حين صافحت عيناها أقدام الفتاة المزدانة بالخلاخل الفضية والأجراس .. وعلى أية حال .. فان كل نظـرة الآن من سونيتا لم تكن تقع الا على شيء ما فى الفتاة .. ومرة أخـرى ، حولت سونيتا نظرها الى تلك الجالسة أمامها .. والتى كان يبـدو أنها غارقة فى سعادتها الخاصة ، ولا تشعر بما يجـرى حولها .. ولم يفت سودهير ملاحظة نظرات الغيرة والحسد للفتاة والتى كانت تبدو فى نظرات سونيتا ، حتى أنها أبدا لم تحـول نظـرها عنها .. ولو الى لحظـــة ..!

ونظر اليها سودهير بتساؤل ..!!

قالت : الحلق .. نعم الحلق جميل جدا .. ألبس كذلك ..؟

سألها سودهير فى صوت متسامح : هل آعجبك ..؟

ونظر هو الى حلق الفتاة .. فقط ..! ولم تكن به أية رغبة خاصة فى ذلك .. وفصله عن الفتاة .. التى كان واضحا بأنه جزء مكمل لزينتها البراقة .. حقا كان الحلق تحفة فنية رائعة .. فى الصياغة والجمال والتصميم الحـديث .. ويدل على صنعه بيد خبيرة ماهرة .. لصانع ماهر متمكن فى فنه .. حلق من الذهب الخالص .. وفصوص من اللآلىء تتراقص وتلمع وتبرق كالنجوم فى كل لحظة تحـرك فيها الفتـاة رآسها .. مضفيا عليها حسنا وضـاء .. وسحرا خـلابا ..! واستدار ليدقق النظـر فى وجه زوجته .. ويتخيل كيف يبدو هذا الحلق عليها ..!!

وهمس فى أذن سونيتا .. انه يبدو أكثر جمـالا فى أذنيك أنت يا حبيبتى .. ثم أضاف : سأشترى لك مثله .. وسيكون هذا أول شيء أفعله حال وصولنا الى منزلنا الجديد ..!!

وكان سودهير صغـيرا يافعـا .. خياليا عـديم الخبرة .. بلا تقدير لمدى تهوره فى مثل هذا القول .. وهذا الوعد ..!

وسونيتا أيضا .. كانت صغيرة .. وتثق وتصـدق فى كل كلمة يقولها هو ..! أبدا لا تشك فى قدرته على تحقيق وعده . وكانت سعيدة كل السـعادة لتفكيرها فى الحصـول على مثل هذا الحلق ..!

ولكن .. عندما استقر سودهير فى بيته فى بومباى .. عرف لتوه أن الحساد ليست أسطورة خيالية .. لم يكن الا كاتبا فقيرا بدخل محدود ، حتى مدخراته القليلة سرعان ما تبددت فى شراء متطلبات منزله الجوهرية ، ومع ذلك .. فان قلبه الفتى ما زال يأمل فى شراء الحلق الجميل الذى وعد به عروسه الجميلة ..! ولحظه السعيد .. وبعد بحثه فى معظم المحلات . عثر أخيرا على ما يبحث عنه .. ولكن .. فى اللحظة التى عثر فيها على الحلق .؟ توقف قلبه عن الخفقان .. مذهولا من هول الرقم الذى كتب عليه .. أبدا لم يكن بالثمن الذى يمكنه الحصول أو الوصول اليه .. الا اذا خطط تخطيطا دقيقا للادخار .. شهورا وشهورا ، ومن المستحيل عليه أن يتملك مثل هذا الحلق الثمين فى الوقت الحالى ..!!

وغادر المحل بقلب مثقل بالفشل .. ولكن بلمحة من أمل جديد فى ادخار ثمن الحلق .. حتى يتمكن من الوفاء بوعده ..!!

على أية حال .. وبكل امكانيات حسابه .. لم يكن من السهل عليه أبدا أن يوفر ثمن الحلق .. وكلما مرت الأيام .. وتوالت الشهور .. لم يكن يقترب الا من البداية .. تماما كما ابتدأ . أما سونيتا .. فبانشغالها الدائم بأعباء المنزل .. نسيت . أو تناست تلك الحادثة التى حدثت يوما ما فى الأتوبيس .. فى حين أن سودهير .. بكرامته الجريحة كرجل .. لم يتوان أبدا عن توفير المبلغ الذى يعيد اليه كبرياءه ..! وفى

النهـاية ..! وبعد طول الصبر أحصى النقـود التى كان قـد ادخرها .. فاذا هى مائة وخمسون روبية .. وكافيـة تمـاما للغرض الذى ادخـرها من أجله .. وفى الوقت نفسه ، ليحتفل بعيد زواجه الثانى ..!!

وفى ذلك اليـوم .. عنـدما غادر سودهير مكتبه .. كان يتراقص سعادة وهناء .. لأن اليوم التالى .. هو أخـيرا ذلك اليوم الذى سيفى فيه بوعـده .. هذا الوعـد الذى وعد به زوجته يوما ما ..!! منذ عامين .!! ولقد أراد أن يجعلها مفاجأة سعيدة ، وبدون علمها .. وفكر هانئا وهو يغادر الحانوت بعد أن دفع الفاتورة .. وهو يضع العلبة الحمراء الصغيرة فى جيب معطفه القـديم .. فى مدى فـرحة « سونيتا » عندما يقـدم لها وعده ..!!

وعندما كان سودهير عائد رأسا فى اتجاهه الى المحطة .. تحسس بغبطة وللمرة الثانية .. العلبة الصغيرة الحمـراء التى ترقد فى جيب معطفـه الداخلى ..! واخترق بوابة المحطة التى كانت كالعادة تموج بجموع غفـيرة من الناس .. تتزاحم كلها لتلحق بالقطار .. وكل يريد أن يحصل على مكان لجلوسه .. وبالرغم من شباب سودهير وحيويته .. الا أنه وجـد صعوبة كبيرة فى اختراق هذه الجموع ..!

وابتدأ القطار فى التحرك .. وفجأة تحول انتباه سودهير الى

مناقشــة حامية تدور بين فتى وسيم يجلس بجــواره تماما .. والذى كان المتحدث الأصلى فى موضوع سياسى ..!!

كان الفتى وسيما حقا .. ويشبه تماما الممثل الذى يحبــه سودهير . فتابعه باهتمام .. ولو أنه لم يشترك من قبل فى أية مناقشة من هذا النوع..حيث لم تكن له أية ميول سياسية كغالبية طبقته .. اما فى هذا اليوم بالذات .. وكله سعادة وانتشاء لتحقيق وعده بما يحصــل فى جيبه .. فقد اندفع متحمسا فى التدخل فى المناقشة .. وأبدى آراءه ..!! ولدهشته الشديدة .. وجــد أنه محــل اعجــاب وتشجيع من المحيطين به .. مما زاده ســعادة وخيلاء .. ولم يكن يعــرف فى نفسه هذه المقــدرة العجيبة فى الحديث ولفت الأنظار .. فتمادى فى حماسه .. وطفق يتكلم فى موضوع .. ليدخل فى موضوع آخر .. « من الديمقراطية الى الارستقراطية .. الى الشيوعية » وتعارف بالفتى الوسيم الذى كان يدعى « راجيندار » وينتمى ــ كما قال ــ الى العــائلات البنجابية الارستقراطية الراقية .. وكان آتيا الى بومباى للبحث عن عمل هناك .. وكان لراجيندار لونا خاصا فى الحياة .. كثيرا ما تمنى سودهير أن يكونه ..!!

وخفض القطــار من سرعته .. وتهيأ كل راكب للنزول فى « أندهيرى » .. كذلك استعد سودهير ، حيث أحاطه راجيندار بكتفيه فى مودة صادقة .. واحتضنه مودعا .. وفى صوت راعش يخفق بالعواطف .. تمنى من الله أن يجمعهما ثانيا .. وابتعد عنه

سودهير متأثرا من هذه المودة الحارة التى اعتصرت قلبه .. ملوحا بيده للفتى الحبيب « راجيندار » ..!!

وحالما فتح « سودهير » باب مسكنه الذى يحتوى على غرفتين .. سمع نداء سونيتا وصوتها الحلو .. آتيا من المطبخ واضحا .. ويطغى على صوت الموقد ..!!

ـــ أهذا أنت ..؟

ومن الرعشة الغريبة التى لاحظها فى صوتها .. أدرك على الفور بأن لديها شيئا هاما تريد أن تخبره به .. وتبسم صائحا وهو يفك رباط العنق مشوحا لها به ..!!

ـــ نعم .. وهو معى ..!!

ولكن سونيتا بالطبع لم تفهم ما يعنيه بهذا القول .. فقط .. طلبت منه أن يسرع ويغتسل .. ثم يحضر لتناول الشاى ..!

وبعد أن اغتسل بالطريقة البدائية البسيطة .. من الصنبور والحوض .. الموجود بركن من الفيراندا .. وجفف يديه وقدميه فى فوطة رخيصة .. جلس على مقعد خشبى ينظر الى سونيتا بعينين كلهما حب وعبادة .. وكأنه يود أن يقول لها بأنه الآن .. والآن فقط .. يمكنه أن يفاجئها بشىء مذهل .. لكن سونيتا لم تعطه هذه الفرصة .. بل عاجلته بالقول باسمة :

ـــ انه عيد زواجنا غدا !..

ولم يكن سودهير من الطراز العاطفى .. فلم تصدر منه الا :

ـــ آه .. هكذا ..!!

وأضافت سونيتا :

ـــ وانه ليوم الأحد أيضا ..!!

ـــ وهذا أيضا شيء ..

ـــ أننى سوف أعد الشريك ..!!

وأكمل سودهير قوله بنفس الطريقة الجافة .. وهو نلمظ بشفته ..

ـــ آه . كعكتى المفضلة ..!

وأضافت سونيتا متجاهلة حركته الصبيانية :

ـــ أنت تعرف بأننى أكره آن أصنعه فى وعاء نحاسى ..

ـــ اذن .. اصنعيه فى وعاء من البلاستيك ..!!

ـــ لا تكن غبيا ..! ان الحديد المصقول هو أنسب شيء له ..!

وسألها سودهير مازحا .. مخفيا ابتسامته وفرحته بهديته المفاجئة :

ـــ هل تريديننى أن أقدم لك هديتك غدا .. وعاء من الحديد المصقول ..؟؟

ولم تجب سونيتا .. وأدركت بأنه فى حالة نفسية طيبة .. و .. بل وفى أحسن حالاته .. انه الآن آنسب وقت لتفادى غضبه من المفاجأة التى أعدتها له ..!!

واستدارت الى الدولاب القديم .. وفتحته .. وأخرجت منه وعاء براقا من الحديد المصقول اللامع .. ووضعته أمام عينيه .. وكأنما لتختطف اعجابه اختطافا .. على قدر المستطاع ..!!

ولم يفرح سودهير بهذه المفاجأة ... لأنها ستحرق مفاجأته .. فلقد استحوذت على كل مشاعر الفرح والسرور فى نفس زوجته .. والتى لاحت من نظراتها السعيدة الهانئة ، وستخفف من فرحتها بمفاجأته الرائعة التى أعدها لها ليقدمها اليها فى اليوم التالى ..!!

وفجأة .. وقف .. وهرول الى الغرفة التى خلع فيها معطفه .. وأدخل يده بسرعة الى الجيب الداخلى به ..!

وتوقف قلبه عن الحركة .. ويده الفارغة توغل فى الفجوة التى كانت يوما ما .. فى جيب معطفه السحرى ..!

وللحظة .. وقف مذهولا .. تائها .. لا يمكنه أبدا تصديق ما أحست به يده ..!

ومال بجسده الى الحائط واهنا .. وأغمض عينيه فى يأس وألم .. وأمام عينيه المغمضتين .. تراءى له وجه راجيندار الوسيم ..!

وأفاق سودهير من ذهوله .. على قرع على الباب .. وأجفل قليلا .. ثم جفف وجهه الذى كان غارقا فى بحور من العرق ..!!

واشتد القرع على الباب . . وأعلى فى هذه المرة . . وهرعت سونيتا آتية من المطبخ وهى واجفة من الصمت المطبق فى الغرفة الداخلية التى يجلس فيها سودهير . . وأسرعت تفتح الباب . . !

وهناك . . وقف رجل غريب . . بشعر أبيض . . وسوالف بيضاء . تحيط أنفه المستقيم الحاد . . وقور . . أنيق ومرتب . . ويرتدى قميصا أبيض وعباءة سوداء . وتحت ذراعه حقيبة جلدية سوداء . . !!

سأل وهو يمد يده فى احترام وترحيب :

ــ سيدتى . . هل هذا منزل السيد هبفاركر . . ؟؟

وفى نفس الوقت . . كان سودهير قد أفاق تماما من هول الصدمة . . وشدة الذهول الذى أصابه من فقده للعلبة الحمراء . . ولحق بسونيتا . . ونظر من فوق كتفها الى الرجل الواقف بالباب . . !

وتعجب لنفسه قائلا :

ــ يا الهى . . ما الذى أتى بهذا الرجل الى هنا . . ؟ ؟

قال الجواهرجى الشهير السيد جوكال . وهو يخطو الى الداخل :

ــ حسنا . . حسنا . . ألا تدعونى الى الدخول يا سيد / هبفاركر . ؟

وجلس الرجـل على الكرسى الوحيـد بالحجرة . . وفتح حقيبته . . وأخرج منها لفافة صغيرة ملفوفة بنفس الورقة الوردية التى لفت بها علبة ســودهير الأولى . . وكانت ســونيتا تقف مشدوهة . . فاغرة فاها . . بلا تصديق لما ترى . . !

قال الرجل موجها حديثه الى سودهير :

ـ ألف معذرة يا سيد / هيفاركر . . انها كانت غلطة ابنى . حقا ان هؤلاء الفتية من هذا الجيل . . لا يمكن الاعتمـاد عليهم أبدا . . أبدا . . فى تحمل أية مسئولية أو القاء عبء العمل عليهم . تصور انه يلف لك علبة فارغة . . دون أن يضع بهـا الحلق . . !!!

واستمر السيد / جوكال فى حديثه . . وهو يحرك رأسـه يمينا ويسارا فى أسف بالغ لهذا الجيل الطائش المتهور . . !!

ومد يده مقدما اللفافة الصغيرة الى سودهير . . !!

ونظر سودهير الى وجه الســيد / جوكال بعينين تتراقص فيهما البهجة والسعادة . . ولم يكن يرى أمامه وجه الســيد / جوكال .. بل وجه راجيندار الوسيم .. وخيبته المرة حين يفتح العلبة الفارغة . التى كان يفتحها . . قطعا . . وهو فى غـاية النشوة . . والفرح . . والأمل . . !! حين انفرد بنفسه . . ليرى غنيمته . . !!

وفجأة . . ولحيرة الاثنين . . سونيتا والزائر . . انطلقت من سودهير ضحكة عالية مجلجلة . . !!!!

□ □ □

من اجـــــل الحياة



●● بقفزة واحدة .. وبمخالب مســـنونة .. القت بنفســـها على رأس الكوبرا .. وغابت القطة فى الجسد الهائل المخيف !! ؟

لقد كان يوما طويلا . . شديد الحراره . . وصــلت درجته الى ١١٠° . . ! واستدار الرجل الطويل الى بوابة المنزل ، تراوده فكرة احتساء مشروب مثلج . . قطعا . . قد أعدته له زوجته ، وكانت الشمس تعكس اشعاعاتها النارية الحمراء فتلسع جبينه ، وكافية تماما لتجفف العرق المتصبب عليه ، ومع تنهيدته الحارة ، ونسمات الهند العطرة . . داعبت أنفاسه رائحة ثمار المانجــو الحبيبة . . !!

وأفاق الرجل من استغراقه على صوت خفيف جعله يلتفت الى مصدره ، وهناك وجد على الحشائش « سيام » ، القطــة البيضاء التى تعيش فى ظلال شجرة المانجو الوارفة . . ولم يكن الرجل متأكدا تماما من المدة التى قضتها معهما « سيام » ، فلقد قابلاها . . هــو وزوجتــه للمرة الأولى . . ذات مســاء ، من أسابيع . . عندما كانا يتجولان فى الحديقة . . !

وفى بعض الأحيان . . فان سيام قد وجــدت أن المنزل له فائدة ما . . ! فكثيرا ما رأت المأكولات متراكمة بطريقة أراحتها من القفز والاصطياد فى الأجواء الخارجية الحارة . . !!

وفى المساء ، رأت أن اللبن الذى يمتلىء به الطبق الموضوع أمامها . . كان مفيدا حقا ، وهى تحتاجه الآن أكثر من أى وقت

مضى . . فهناك فى أعلى شجرة المانجو . . وفى مهد أعدته هى ، كانت ترقد قطيطاتها الصغيرة . التى أحضرتها الى هذا العالم . . لذا فهى ترقد دائما فى أسفل الشجرة . . متحفزة بأنيابها ومخالبها متنمـــرة لأى بادرة من بوادر الهجــوم والأذى على كنـــزها الثمين . . !!

وفى وقت ، تعبت سيام من رقادها وسهرها . . ورغبت فى أن تختبر نشـــاطها وتجرب فى الشـــعور بأن لها قوى تستطيع أن تحركها . . وجرت جسدها الهزيل . . تبعد به قليلا عن مـــكان الحراسة . . . !!

وللحال . . ككل الأطفال ، عندما يشعرون بأن أمهم قـــد توانت قليلا عن مراقبتهم . . وتوارت عن الأنظار . . هكذا فعلت القطيطات ، وتسللت من مهدها . . وابتدأت تلعب . . . !!

وفى المجرى ، تحت الشجرة ، فى جحر ، كان يرقد أيضـــا « الكوبرا » ضخما . . كبيرا . . هائلا — برأس يريحها على حافة المجرى . . يتطلع ، ويرقب ، وينتظر . . !! مستعذبا برودة الماء والحشائش الندية . . وطراوتها . . ممددا جسده المخيف فى راحة واسترخاء ، وبحلول المساء . . شعر بالجوع ينهش فى أحشائه . . فمد رأسه الطويل . . وزحف . . يتلعق فى طبق اللبن الذى تركته سيام ، مما زاده هذا اللعق جوعا على جوع . . ورفع رأسه . . يتشمم . . ويستطلع . . وزاغت عيناه ، فلقـــد رأى القطيطات المغرية . . تتواثب أمامه . . !!

وبسعادة ورضاء . . من أن فريسته الآن قريبة منه . . زحف بنشوة واستمتاع . . !

وهاجت الطيور . . ورفرفت بأجنحتها . . وارتفع صراخها فى انزعاج . . وهى ترى الخطر . . !!

وسيام ، كانت تتمدد بعيـــدا . . تلعق معطفها الأبيض . . وتنظف نفسها فى سكينة وهدوء . . عندما اخترق سمعها صراخ الطيـــور ، وثورتها . . ومواء القطيطات تشـــاركها الانزعاج والخوف . . !!

واستدارت سيام بحاسة الأمومة لتواجه الكوبرا . . بنظرات تقطر كراهية وحقدا . . وزئيرا متوحشا كاسرا . . وعيونا باردة مخيفة . . !

وبشعور بالأمان . . وبأنه لا خطر هنـــاك . . وبلا مبالاة ، زحف الكوبرا زحفته نحو الفريسة ، التى كانت متنمرة لتدافع عن حياتها . . !!

ولم يجفل الكوبرا . . !

وبقفزة واحدة على حافة المجرى . . واجهته القطة الأم . . ومع كل احتمالات الموت من الكوبرا . . واجهته سيام بكل كبرياء وتوحش . . بأذنين مشدودتين . . وعيون براقة . . ومواء هادر . . ونظرة غضب وكراهية . . !!

وأدار الكوبرا رأسه الكبير ببطء شديد . . العيون مخيفة نظرات . . نقطر سما باردا . . وركزها على القطة ، ولغروره شديد . . ويقينه أنه لا خطر هناك من قطة . . ! استدار بجسده الضخم ، زاحفا زحفته الأولى نحو الفراشى الصغار . . !!

وراقبته سيام . . وأدركت بأن القرار الآن هو قرارها هي . . نعم ! انه يمكنها أن تترك صغارها . . فالموت رخيص . . رخيص جدا فى الهند . . !! وخاصة بالنسبة للقطط . ويمكنها أن تلد غيرهم . . وقطعا ستتمتع أكثر . . فان « مانجى توم » ذلك القط الذى اتخذته (وليفا) لها . . سيعود اليها حتما . ويمازجها . . مع تباشير البرد . . ولكن . . . ! اختيارها كان واضحا . . فهى تعرف بأنها حتى لو عاشت هى أيضا . . فان صغارها ستتعرض قطعا لانتقام (وليفة) الكوبرا . . !!

ولملمت من نفسها . . وشدت من مفاصلها . . واشرأبت عنقها . وقفزت قفزة واحدة على ظهر الكوبرا . . وبأنيابها مخالبها . . وتوحشها . . أنشبت كل هذه الحراب المسنونة . . فى مفصل الكوبرا الحيوى . . وبقفزة أخرى كانت بعيدة عنه . وتركته يتلوى بالجراح . . والدماء . . والألم . . . !

واستدارت اليه . . متحدية . . ! وهى تعلم تماما . . انها على أبواب المعركة الفاصلة . . ! اما حياة . . ! واما موت . . !

كانت كل البوادر تبشر بضياع سيام . . وبأنها قد انتهت فعلا . . ! وكانت سيام تعلم ذلك جيدا . . ولكنها واجهت

العـــدو . . وكانت عندها فرصة واحـــدة فقط . . فانها كثيرا ما راقبت المونجووز فى معارك كثيرة مماثلة !!!

ان الكوبرا تنزف دماءه من جراحه المؤلمة فى مؤخرة ظهره . وهى الآن أمامه . . فى مواجهته تماما . . عيناه تقدحان شررا . . وآلامه تزيده توحشا ورغبة فى تمزيقها . . !!

هو الآن يرفع رأسه . . وينظر اليها . . حانت اللحظـــة المخيفة . وبكل قوتها التى ركزتها فى مخالبها ، انكمشـــت فى نفسها . . وحددت الهدف . !

بقفزة واحدة . . وبمخالب مسنونة . . وبعزيمة من حديد . . ألقت بنفسها على رأس الكوبرا . . !!

كان فمه مفتوحا عن آخره . . وأسنانه تقطر سما . . ولسانه يتدلى منه ، وغابت القطة فى الجسد الهائل المخيف . . !

وفجـــأة . . ! وبأسرع من البـــرق . . انتفض الكوبرا . . وارتخى جسده على الأرض فى صوت هائل مرعب . . !

بلا شك أنها سيام فى صراعات الموت . . لقد انتهت . . . !!!

ولكن . . ! هل كانت هى حقا . . ؟ لقد رفع الثعبان جسده قليلا وهو يتلوى . . وينازع . . وهناك . . ظهرت القطة . . !!

انسابت زاحفة من تحت الجسد الضخم قبل أن يرتخى ثانية بلا حراك . . ! وبعيدا عنه . . ارتمت القطة خائرة القوى . . !!

انها طريقة المونجووز . . فقأت عينى الكوبرا بمخالبها . ففقد البصر . . ولم يقدر أن يرى . . هنا فرصتها . . وأكملت

العملية بأسنانها . . حتى قطعت رقبته . . وهوى الثعبان جثة بلا حراك . . !!

ورقدت سيام على جنبها . . أغلقت عينيها . . بجسدها الواهن وعظامها المسحوقة ، لسانها متدل . . وأنفاسها بطيئة . . لقد فقدت القدرة على الحياة . . بلا شك أنها تموت . . !!

وغمغم الرجل فى وقفته التى طالت :

ـ أيتها الفتاة الذكية . . يا سيدتى الصغيرة الشجاعة . . !!

وبدهشة الفرح . . ! انتفضت القطة بمعطفها الأبيض الملوث بدماء المعركة . . وانسلت تجر نفسها جرا . . !

وبعد أسبوع من هذا الحادث . . كان الرجل وزوجته يستظلان بظلال شجرة المانجو . . واذا بهما يسمعان صوتا . . !!

رفعا أنظارهما الى فوق . . وصاحت الزوجة :

ـ أيتها الحبيبة « سيام » حالا سأحضر لك اللبن . . حالا . . !!

ورفع الرجل عينيه الى فوق . . كانت سيام ترقد . . !! وفهم كل شىء !! من بريق عينيها الصافيتين . . !!

والتفت الى زوجته وهو يقول لها باسما :

ـ أعتقد أنه سيكون لك أيضا تسعة من الصغار . . . !!

ـ أعتقد ذلك . . !!

□ □ □

طريق الغـــابة



●● انني متعبة .. الا تحملني .. ؟

تسللت أضـــواء الشمس بطيئة لتختفى خلف السحب التى تظلل الأوراق الندية . . وساد الصمت المحير . . والهـــــدوء الساكن . . والنوم . . على المنازل المترامية على حافة الغابة . . !

واضطجعت أم جودى . . على الفراش . . تحت الغطـــاء الحريرى . . والستائر المسدلة . . ! وقفزات جودى من حولهـــا تزعجها . . نادت على الدادة ، وأخذتها هذه الى غرفتها ، ووضعتها فى الفراش . . ولكنها هى نفسها نامت ، قبل أن تفعل جودى . . !

ونظرت اليها جودى للحظة . . ثم ذهبت الى لعبها وأحضرتها كلها . . ووضعتها صـــفا طويلا بجـــوار الحائط : العـــربة ــ العروسة ــ الحصان ــ الأرنب ، وجلست على حافة النافذة تنظر اليهم ، ثم أدارت رأسها . . ورنت بعينيها الى الخارج . . !

كان الضوء أخضر .. ووميض الشمس أزرق . . والتلال الجانبية تكسوها السحب السوداء والبيضاء المتماسكة فى خيوط شبكية عبر الفضاء . . !

أراحت يدها . . ثم وضـــعتها تحت ذقنهـــا . . متأملة . . مفكرة . . !! وفجأة . . تسلقت النافذة . . حاملة حذاءها بيدها ، ألقت بنظرها الى الدادة النائمة . . قفزت . . ذهبت الى البوابة . . رمت الحذاء خارجها . . تسلقت هى أيضا البـــوابة ، وضـــعت

حذاءها فى قدمها ثانيا . . عادت . . ورأت بصمات أصابع قدميها على البوابة ، البيضاء . . مسحتها بأصابع يديها ثم ابتسمت.. وهزت رأسـها . . تراقص الحلق الذهبى . . ولمعت الشرائط الحمراء . . !! وابتدأت جودى فى السير . . !!!

استدارت الى اليمين . . الطريق الملاصق للغابة . . ذلـك الطريق الذى تظلله الأشجار من ناحية والمنازل من الناحيـة الأخرى ، الطريق الوحيد من هنا . . الى ما لا نهاية . . ؟ الذى كانت تتجنبه دائما أم جودى حين نزهاتهما فى الغابة . . وأخذت جودى فى الغناء . . وأخذت طريق الغابة . . !!

واستنشقت عبير النـدى . . ولمحت وميض الشمس على قطراته . . وجعلت تقفز وتطير وراء فراشة صـفراء اختبأت فى أوراق الشجر ، غطست جودى معها للحظة ، ثم وقفت لترقص مع خطوات ظلها . . !

وحينئذ رآت ظلا جديدا . . طويلا . . طويلا . . مشتبكا مع ظلها . . والتفتت لتجده أمامها . . !

رجل فى سروال أزرق . . له لحية مثـل دادى . . يداه فى جيوبه . . وينظر اليها مبتسما . . !!

ونظرت جودى الى الشمس . . ثم اليه . . وابتسمت هى أيضا . . !!

ـ وأنت أيضا خرجت للنزهة . . ؟

أطرق برأسه . .

ــ اذن . . تعالى . . !

ومدت له يدها . . فأخرج يده من جيبه وأعطاها لها . . أمسكت بها . . تهزها وهى تسير معه . . وتوقفت عن الغناء . . وسارت معه . . وأيديهما متشابكتان . . تحت ظلال الأشجار . .

وفجأة قال الرجل :

ما هو اسمك . . ؟

قالت جودى : جودى . . !

ــ هل هذا هو كل اسمك . . ؟

ــ هيم . . هيم . . !!

ثم ابتدأت تضحك على سؤاله . . وضحك الرجل أيضا . . ورفعت جودى نظرها فى دهشة . . ثم ابتدأ الاثنان فى الضحك ثانيا . . !!

ــ أين تقطنين يا جودى . . ؟

وهزت جودى ذقنها بغرور . . ومضت تسرع فى سيرها ، وهى تشد يده من الأمام الى الخلف . . ومن الخلف الى الأمام . . !!

ــ ألا تذهبين الى المدرسة . . !

ــ هيم . . هيم . . هيم

ــ هل لك أخ . . ؟

ــ هيم . . هيم . . هيم

ــ هل تريدين شيكولاته . . ؟

ــ هيم . . هيم . . هيم !!

ثم توقفت عن السير . . تركت يده . . استدارت . . واجهته . . مطت شفتها ، واتسعت حدقتاها . . ثم قالت :

ــ آننى متعبة . . ألا تحملنى ؟؟

وضحك ضحكة قصيرة . . ثم حملها بين ذراعيه . . وضحكت جودى بدورها ولفت ذراعيها حول عنقه . . ! ودفنت رأسها فى صدره كالقططة . . !!

وكان يمشى ببطء . . ! وفجأة ، رفعت اليه نظرها ، قبلت خده . وبسرعة خبأت رأسها بين كتفيه . . نظرت اليه ثانيا ، لمست ذقنه بأصابعها . . وقالت :

ــ لم لا تحلق ذقنك مثل دادى . . انه يحلقها كل يوم عندما يكون بالمنزل . . !

ــ عندما يكون بالمنزل . . ؟

ــ نعم . . لأنه لا يكون دائما بالمنزل ، انه يذهب هنا وهناك . . لقد ذهب هذا الصباح مبكرا . . حتى قبل أن أستيقظ أنا . . !

والتصقت به ثانيا ، ثم قالت ببطء :

ـ اصغى الى . .

وحرك رأسه قليلا . . ولكن جودى شبت بين ذراعيه . . وأمسكت بذقنه ، حولت وجهه نحوها لتقول له :

ـ اسمعنى . . سآتى هنا لأمشى معك كل يوم . .

ولم يقل شيئا . . وحينئذ مطت شفتيها ثانيا ، واحمر أنفها . . ولم يفعل هو شيئا أكثر من أنه ضمها أكثر . . واستمر فى السير ، ثم توقف وقال :

ـ جودى . .

وتنحنح . . ليخرجها بوضوح أكثر :

ـ جودى . . هيا بنا نعود يا حبيبتى . . والا سوف تتأخرين . . !

وأطرقت جودى ، وهزت ذقنها قليلا ثم قالت :

ـ أننى لن أجعلك تحملنى كل يوم . . ولكننى اليوم متعبة قليلا . . !!

ورفع قدمها الكبيرة بين يديه ، ونظر اليها .. وبسرعة أدار رأسه !!

وانحدرت الشمس للمغيب ، ونظرت جودى الى ظلال الرأسين الآتين من خلفهما .. واستمر هو سائرا .. وأغمضت عينيها ..!

قال : جودى .. جودى ..!

وفركت عينيها الناعستين ، ونظرت اليه وابتسمت ..

ــ ها هو منزلك ..!

وأطرقت .. ثم رفعت رأسها وسألته بجدية تامة :

ــ ستأتى غدا ..

ــ بالطبع .. بالطبع ..

ــ تعـــدنى ..!

ــ نعم أعـدك ..!

وانسابت من بين ذراعيه ، والتف شعرها حول زرار جاكتته ، وبرقة خلصها منه ..

ــ ألا تحبين شيكولاته الآن ..؟

ومدت جودى يدها اليه ، وأخـــرج ملء يده من جيبه ، وملأ بها جيوبها ، وشعرت بلحيته تلمسها ، ثم قالت :

ــ الى الغد .. هيه ..؟؟

وأطرق رأسه موافقا .. وسريعا سار بعيــدا ، ووقفت هى تنظر اليه حتى أختفى فى الزاوية ..!!

وعنــدما وصلت جودى الى المنزل ، كانت العــربات تملأ الطريق هناك .. وجموعا غفــيرة من الناس أتوا سريعا اليها .. وحملها أحدهم الى أمها ، وكانت أمها تبكى .. والدادة أيضا ،

وكان أبوها يروح ويجيء كالأسد الهـائج .. وعنـدما شاهد جـودى توقف ..! وضمت مامى جـودى وهى تزفـر وتشهق ورفعتها اليها ، ونظرت اليها .. ثم شهقت ثانيا :

ـــ جودى .. جودى .. أين الحلق الذهبى ..؟؟

وصاح دادى :

ـــ جودى جودى ..!!

وجذبها بشدة وهو يتفرس فى وجهها :

ـــ من هذا الذى ذهبت معه ..؟؟ هذا المحتال الذى أعطاك الشيكولاته ..؟؟ كم من المـرات قلت لك .. ماذا لو كان .. لو كان ..

واحتضنتها مامى وأخذتها بعيدا عنه :

ـــ انها ليست الا طفلة .. طفلة !!

قالت جودى ودموعها تنساب غزيرة حارة وهى تشهق :

ـــ مامى .. لقـد أعطـانى .. أعطـانى شـيكولاته .. شيكو .. كولاته مامى !

ـــ جودى حبيبتى .. هو رجل ردىء .. ردىء ياجودى .. ذلك الوغد ..!!

والآن ، كانت جودى تصرخ بحرقة وانفعال ..

ـــ لا .. لا .. لكن يامامى لقد أعطاها لى .. الآن فقط ..

هنا .. هنا فقط ..

ودخلت الدادة باللبن الساخن ..

ـــ دادة .. أعطى حبيبتى اللبن وخـذيها الى الفـراش ، أنت على ما يرام الآن .. مامى هنا .. دادى هنا .. اذهبى أنت ونامى يا طفلتى الحبيبة ..!!

وخرجت أم جودى لترى النـاس الذين أتوا ليبحثوا عن جودى ..!!

وجلست الدادة مع جودى تدللها .. وترجوها أن تشرب اللبن ، ولكن جودى أدارت وجهها بعيدا .. وفى النهاية عادت الدادة باللبن الى المطبخ ..

ـــ اف .. كيف يمكن أن يتعامل الانسان مع مثل هؤلاء الأطفال المدللين الفاسدين .

وذهبت جودى لتجلس مع لعبها أمام الحائط .. تماما كما تركتها ..!!

وأمسكت بالشيكولاته التى يمتلىء بهـا جيبهـا .. وظلت تبكى .. وتبكى ، لوقت طويل ..!!

□ □ □

ســـــر الجـــدة

□ لا .. لم يفصـل .. لكنه كان سـيفعل ذلك .. لو كنت انا قـد هربت الى منزل امى .. كما فعلت انت .. ؟

سألت الجدة حفيدتها « سوميترا » عندما رأتها ترقد على الفراش .. حال خروجها من حجرة « يوجا » :

ـــ ماذا تفعلين ياسوميترا ..!

أجابتها سوميترا وهى شاردة :

ـــ لا شىء ..!

وبصوت مملوء بالاحتقار .. قالت الجدة :

ـــ لا شىء .. هذه هى متاعب الجيـــل الصغـــير .. انهم يفتقرون الى الحيوية !

ـــ الحيوية ..! ماذا تعنين ..؟

ـــ أعنى انك تفتقـــرين الى الحيـــوية .. الى الحيـــاة .. والنشاط لتحصلى على ما ترغبين .. ولتتمسكى بما هو عزيز وثمين لديك .. ولا تجعلينه يفلت من بين أصابعك أبدا ..!!

وجلست الجـــدة على مقعـــد خشبى منخفض .. مواجهة سوميترا ..!! ووضعت على حجـــرها علبة صغـــيرة بها حلوى الجيلاتين .. وقطعتها قطعا صغيرة ألقت بواحدة منها فى فمها وهى تقول :

— سوميترا .. سأقص عليك قصة .. انها قصة أيام من شبابى .. وسوف تدركين ما أعنيه ..!

وتململت سوميترا بضجر .. ان جدتها دائما أبدا تتكلم عن شبابها .. حتى فاض بها الكيل من تكرارها .. ولا تود سماعها أبدا ..!

— هل تعلمين أن جدك كان يوما ما يدرس فى انجلترا ..؟

وخافت سوميترا من لسان جدتها الحاد .. فلم تقدر أن تقاوم رغبتها فى أن تقول لها :

— كل العائلة تعرف ذلك .. كل فرد فى عائلتنا يعرف أن جدنا كان فى انجلترا عام ١٩١٢ لتحضير دراساته العليا .. وكيف نشبت الحرب .. واضطر أن يعود للمنزل فى عام ١٩١٥ بدون حصوله على أية درجة علمية ..!!

— وهل تعلمين أن جدك أراد أن يحضر رفيقة له من هناك ..!

وظنت سوميترا أنها لم تسمع جيدا .. لقد وجدت أنه من المستحيل على جدها والذى تتذكر جيدا أنه ذلك الجنتلمان الكريم .. ذى الشعور البيضاء .. والذى كان يجلس دائما فى ساحة القضاء يقرأ « الجيتا » ، قد رغب فى يوم ما أن يحضر عشيقة انجليزية .

— ماذا تقولين ..؟؟

ــ لقــد أراد جــدك أن يحضر معــه هنــا الى المنزل رفيقته ..!

ــ وهل .. هل فعل ..؟؟

ــ لا .. لم يفعل .. ولكنه كان سيفعل ذلك ..!! لو كنت أنا قد هربت الى منزل أمي .. كما فعلت أنت ..!!

وأجفلت سوميترا .. فى حين سألتها الجدة :

ــ آه .. هنــــاك شيء ما بينك وبين جانيش ... هيه .. أليس كذلك ..؟

وقالت سوميترا وهى تتصنع الضحك ..!!

ــ لا .. ولماذا تظنين بأن هناك شيء ..؟؟

ــ واذا لم يكن .. لم بقيت أنت هنا فى نيجونى مع امرأتين كهلتين .. لا فى بومباى مع زوجك ..؟

ولم تجب سوميترا ..؟

واسترسلت الجــدة : لقــد تشــاجرت مع جانيش .. ألم تفعلى .. أليس كذلك ..؟ وكان ذلك من أجل امرأة ..!

وسألتها سوميترا وعيناها مغرورقتان بالدموع :

ــ ولكن .. كيف عرفت ..؟؟

قالت الجــدة وهى تمصمص قطعــة الحــلوى .. وتبتلع رحيقها ..!

ـــ حسنا .. انه واحد من الأسباب العــادية فى الخلافات الزوجية .. وهكذا كان أيضا فى أيام شبابى .. ولا أظن أن هذا الأمر قد تغير كثيرا عن ذى قبل ..!!

وأطرقت سوميترا بنظراتها .. نعم .. نعم لقد اكتشفت أن جانيش له علاقة بسكرتيرته « مالينى جوتيــا » .. وكان هذا الاكتشاف فى الحفلة التى أقامها المكتب بشركته .. وعلى هذا تشاجرا شجارا عنيفا وجمعت سوميترا حاجياتها وأخذت طفلها وهرعت الى نيمجونى ..!!

ولم ترغب فى أن تناقش هذا الموضــوع مع جدتها .. لذا بادرتها بالسؤال :

ـــ هل كان جدى يحب هذه الرفيقة ..؟

وصاحت الجدة ..؟؟

ـــ ولم اذن أراد أن يحضرها هنا ..؟؟

ـــ ولم تدر سوميترا بماذا تجيب .. وسألت الجدة :

ـــ ولماذا تندهشين اذا ما كان هناك حب .. ألم يكن جدك شــابا وسيما وحيدا فى بلاد غريبة .. لقــد كان مغتربا لثلاثة أعوام .. وكان من الطبيعى جدا أن تكون له علاقة ... وكنت أنا مستعدة لتقبل هذه العلاقة .. ولم أكن مستعدة لاستقبالها هنــــا ..!!

وسألتها سوميترا :

ـــ وما الذى فعلتيه حينئذ ..؟

ـــ لقد فعلت ما يجب أن تفعــله كل امرأة فى مـكانى .. لقد فعلت كل ما كان يجب أن تفعــله امرأة تحب زوجهــا .. وما كان يجب أن يعمل ..؟؟

ـــ وماذا كان ذلك ..؟

وأجابتها الجدة فى نبرة صادقة .. وكأنها حقيقة واقعة :

ـــ ولكننى يجب أولا أن أخبرك بما جعلنى أعــرف ان جدك يريد أن يحضر معه عشيقته الى المنزل ..؟

ـــ واستمرت الجدة :

ـــ لم يرغب جدك فى العــودة .. ولكن الحرب نشبت .. ورأى والده أنه ليس من الأمان أن يترك ولــده الوحيــد فى الخارج فى منتصف المعركة .. وأصر أن يعود فورا .. وعندما رفض جــدك العــودة .. منع عنه والده النقود .. مما اضطره اضطرارا الى العودة كارها ..!

وعلقت سوميترا :

ـــ لابد وأنه لم يكن يود ذلك ..!!

ووافقتها الجدة على تعليقها :

ـــ نعم .. نعم .. لم يرغب جدك فى ذلك .. فعندما وصل الى نيمجونى .. جافانا جميعا .. ولم يتعامل مع أى فــرد من

العائلة .. واحتجز نفسه فى احدى الغرف الأرضية الخارجية .. ولم يخالط أحدا .. حتى أنا .. لم يحاول أن يصعد هذه السلالم ليدخل غرفتى ..!

وكان يخرج يوميا ليمشى مسافات طويلة ويعود آخر الليل ليغلق على نفسه باب غرفته .. ويبقى بها وحيدا طول اليوم .. ولم يجرؤ أحد أن يقطع عليه خلوته ..!

وفى يوم من الأيام .. أحضر ساعى البريد خطابا معنونا باسم جدك .. ووجد الخادم أن أبوابه كلها مغلقة كالعادة .. فأحضر الخطاب لى ..!

وأطرقت الجدة قليلا .. وسرحت بخواطرها تستعيد أحداث ذلك اليوم ..

ثم قالت :

ـــ لقد كان مظروفا ثقيلا .. والطوابع هى نفسها التى كانت تأتينا على الخطابات التى كان يرسلها لنا جدك من الخارج .. ومزقت المظروف ..

وقاطعتها سوميترا بلهجة لائمة :

ـــ كيف .. كيف أمكنك أن تفعلى هذا .. كيف ..؟

ولم تتوقف الجدة .. واسترسلت :

ـــ وفتحت المظروف .. وأخرجت الخطاب ومعه صورة فوتوغرافية لعشيقته هذه .. تلك العشيقة التى كان يحبها

جـدك ، وأمسكتها بيـدى .. بأصـابع مرتعشـة .. ودققت فيها النظر ..!

وغشى وجه الجـدة سحابة داكنة .. حين تذكرها لأحداث تلك الأيام التى اختزنتها فى الذاكرة ..!

قالت لها سوميترا بتعاطف ورقة :

ــ لابد وأنها كانت صدمة قاسية لك يا جدتى ..!

ــ كانت .. ولم تكن .. فأننى بعـد كل هذا .. آدركت بأنه لابد وأن يكون فى الأمر شىء .. فان جدك قبل سفره .. كان زوجا محبا غيورا .. ولكنه بعـد عودته .. تجنبنى ..!! فلقد مكث فى نيمجونى حوالى أربعـة أشهر .. ولم يحاول مرة واحدة أن يأتى الى ..!

واحمر وجه سوميترا وهى تقول :

ــ وبعد ذلك .. ماذا فعلت ..؟

واستمرت الجدة :

ــ كان الخطـاب بالانجليزية .. ولم استطع قـراءته .. فقـررت أن آخـذه لابن عمى الذى كان يسكن قريبا منا ..

وكان يعمـل رئيسـا للبوستة .. ولم أتمكن من الذهاب قبل المسـاء .. وطول النهـار وأنا أفكر فيما أصنعه اذا ما كانت شكوكى صحيحة ..!!

ووضعت الجدة قطعة من الحلوى . . وهى تلوكها فى فمهـا وقالت :

ــ وأخذت الخطاب الى ابن عمى . . وقرأه بحـزن وقال « هذا ردا على خطاب أرسله لها زوجك . . ويتضـح منه أنه يعشق هذه المرأة . . ويود احضارها هنا . . وهى تعده بالحضور اذا ما أرسل اليها النقود » . . !

هنا . . انهمرت دموعى . . وقال ابن عمى . . !

ــ أننى حزين لأجلك . . ولأجل أطفالك . . ولكن هذا هو نتيجة ارسال الشباب الى الخارج . . أننى كنت ضـد هذا من البـداية . . !

ــ وماذا قلت له . . ؟

ــ قلت له : يا أخى . . ان حياتى هى مستقبل أطفالى . . والاسم الطيب لعائلتنا . . وكل شىء الآن . . أضعه بين يديك . . اذا ما فقط ساعدتنى . . !

وسألتها سوميترا :

ــ وكيف أمكنه أن يساعدك . . ؟

ــ لقد ألقيت نفسى تحت قدميـه وقلت له : أخى . . انك رئيس البريد ، وكل الخطابات التى ترسل وتصل . . تمر عليك . . وأننى أتوسل اليك اذا ما أتتك أية خطابات باسـم زوجى من الخارج . . فلا ترسلها بالطريق العادى . . بل احتجزها عندك . .

وسلمها لى شخصيا .. فان زوجى اذا لم يتلق ردا على خطاباته .. سيعتقد أن رفيقته قد انصرفت عن حبه . . واذا ما أتتك خطابات من زوجى لارسالها للخارج . . فأرجوك ألا ترسلها بل احتجزها عندك . . وسلمها لى أيضا ، فان المرأة الأخرى اذا لم يصلها الرد على خطاباتها ، فانها ستعتقد أن زوجى قد نسيها وعاد الى أحضان أسرته . . !!

صاحت سوميترا فى انفعال وانزعاج :

ــ يا لعدم المثل والمبادىء . . والقيم . . !! يا للقسوة وموات الضمير . . كيف يكون هذا . . كيف . . ؟؟

خرجت هذه الكلمات من فم سوميترا رغمـا عنها . . فلم تستطع لها دفعا لشدة انفعالها من حقارة هذا العمل . . واعتقدت أن جدتها ستغضب منها أشد الغضب ولكن السيدة العجـوز قالت :

ــ أننى أحببته . . أحببته . . ولم يكن فى مقدورى أن ادعه لتلك المرأة . . وكان يجب على أن أفكر فى أطفالى ، لقد كان لنا منهم ثلاثة . . وكيف يعيشون بدون والدهم . . !

قالت سوميترا بحرارة وتأثر :

ــ لم يكن لك الحق أبدا فى التـدخل فى شئونه بهـذا الشكل . . لا أعتقد بأنك كنت محقة فيما فعلتيه . . !

كررت الجدة قولها :

ـ أننى أحببته . . أننى أحببته . . !

ـ وماذا عن سعادته هو . . !!

ـ لقد عرفت بأنه سيكون سعيدا معى لو انزاح عنه هـذا الجنون الأبله . . !

وصمتت سوميترا . . وجعلت تتعجب من شخصية جدتها الجديدة التى اكتشفتها فيها ان هذه السيدة العجوز كانت دائما تردد : انه القدر . . انه الحظ . . انها ارادة الله !! أما عندما رأت أن حياتها مهـددة . . وان حبها كان على وشك الضيـاع . . منها . . فانهـا لم تتردد فى التصرف بشـجاعة . . والدفاع عن رجلها . . وحياتها . .

ولكن سوميترا اعترضت عليها أيضا قائلة :

ـ ربما تكونى قد نجحت فى انهاء هذه العلاقة فقط . . ولكن .. أنى لك أن تعرفى أنه لم تكن هناك علاقات أخرى . . وكيف أمكنك أن تتأكدى من أنه سوف يعود لحبك . . ويحبك أنت وحدك . . ووحدك دون غيرك . . !!

ـ لم أكن أعرف بالتأكيد . . ولكننى واقعية . . وأثق تماما من أنه اذا ما عاد لى يوما ما . . فسيعود الى سابق حبـه . وحياته معى . . ان الرجل كالنبات المتسلق . أنت تعرفين هذا النبات .. انه اللبلاب .. يلتف حول المرأة التى تنادبه للحب ..! وجدك كان غريبا . . ووحيدا . . بلا امرأة بلا حب . . لذا التف حول تلك المرأة . . !!

وأخرجت الجدة قطعـة أخرى من الحلوى . . ألقتها فى فمها . . وأوصحت الأمر لسوميترا . . !!

ــ هناك نوعان من الرجال . . النوع الأول يعيش بعلاقات متعددة مع نساء عديدات . . هذه طبيعته . . متزوجا كان أو لم يكن . . ! والنوع الثانى تكون علاقته بامرأة واحدة غير زوجته حدث خطير فى حياته . . ! وكان جدك من النوع الثانى . . !

وفقدت سوميترا كل قدرة على الكلام . . وأخيرا استطاعت أن تقول :

ــ وهل وافق ابن عمك على خطتك . . ؟

ــ لقد رفض فى بادىء الأمر . . ولم يوافق أبدا على هذه الخطة . . بل واستنكرها وقال بأنه سوف يفقد وظيفته . . اذا ما نفذها . . وسيفصل منها . . ولكنه بعد توسلاتى ودموعى . . قبل أخيرا . . !!

واستمرت الجدة . . !

ــ وابتدأ ابن عمى يسلمنى الخطابات التى تصل من المرأة الأخرى من الخارج . . وبالطبع لا يتسلمها جدك . وانني أتذكره الآن . . وهو ينتظر ساعى البريد يوميا فى الفيراندا . . ويقابله بفرحة غامرة وهو يسأله :

ــ هل هناك خطابات لى اليوم . . ؟

وعندما كان يقول له ساعى البريد لا . . كان جدك ينهار . . ويحنى رأسه فى يأس ومرارة وتعاسـة . . وكان قلبى يمتلىء

بالشفقة عليه . . ولكننى لم أفتح فمى . . ولم أجرؤ أن أقول اى شيء . كذا رفيقته لم تصلها أيضا أية خطابات منه . . لأنها كانت تحجز عندى . وتدريجيا . . انقطع كل منهما عن مكاتبة الآخـر . . !

ـ وماذا لو كان جدى قد آرسل اليها برقية . . ؟؟

واستنكرت الجدة هذا القول قائلة :

ـ لم يكن الناس فى أيامنا يرسلون برقيات . . أو على الأقل الى الخارج . . !

ومصمصت الجدة فى قطعة الحلوى التى لا تفارق فمها أبدا وقالت :

ـ وفى ليلة . . وأنا أتقلب فى فراشى . . قلقة . . والليـل يؤرقنى . . ويعذبنى . . اذ بى أسمع خطوات متلصصة تصعـد السلالم . . متجهة رأسا الى غرفتى . . وجدك يفتح الباب . . وفى ضوء القمر الساطع . . قمر شهر أكتوبر . . رأيته أمامى . . ورأيت وجهه . كان ضائعا . . بائسا . . وعندما رأى بأننى قد استيقظت . . تمركز بجوار الباب ، ولم يجرؤ أن يخطو خطـوة أخرى الى الداخـل . . ولكننى أنا . . قفزت من الفراش . . وذهبت اليه . . فتردد قليلا . . ولكنه كان قد وصل الى قرار . . فأحاطنى بذراعه . . !! وضمنى الى صدره . . !!

وصمتت الجـدة قليلا . . ولمحات الذكرى تتراسـم على وجهها المجعد . . ثم تنهدت قائلة :

وكان والدك هو الطفل الذى ولد نتيجة لهذه الليلة . . وقد أحببته أكثر من كل أطفالى . . وأنت يا سوميترا ابنته الوحيدة . . وحفيدتى الحبيبة الى نفسى وقلبى . . أننى لم أتحدث الى أى مخلوق عن هذه العلاقة . . وهذه الحادثة ، ولكننى . . ولأننى أحبك . . وأريدك أن تكونى سعيدة . . أخبرتك بهذه القصة القديمة لتكون لك عبرة . . !!

وعادت سوميترا الى بومباى بقرار نهائى فيما يجب عليها أن تفعله .

وبدون أن تخبر جانيش . . ذهبت فورا لمقابلة مستر ديو رئيسه فى العمل . . !! وكان قد سمع بالقيل والقال الذى أثير حول علاقة جانيش بسكرتيرته « مالينى جونيا » . . !! وفى عطف وتجاوب . . استمع الى رجاء سوميترا فى أن ينقل زوجها للعمل بفرع من فروع الشركة فى الخارج . . !!

وسألها . . !

ــ هل تناسبك سنغافورة . . ؟

أجابت سوميترا بابتهاج :

ــ نعم . . نعم . . أشكرك كثيرا . . !!

ولم يعرف جانيش أبدا سببا لنقله مساعدا للمدير بفرع الشركة بسنغافورة . . ! ! وعادا بعد عامين . . الى بومباى . . وكانت « ماليبى جونيا » قد تزوجت . . وغادرت بومباى الى الأبد . . !!

وتنفست سوميترا الصعداء . . !

ولكنها تذكرت ما سبق وأخبرتها به جدتها من أن الرجال نوعان . . النوع الأول معتاد أن ينشيء علاقات غرامية مع نساء عديدات . . والنوع الثانى . . تكون علاقته بامرأة أخرى غير زوجته حادثا خطيرا فى حياته . . وهى الآن . . والى الآن . . ! لا نعرف الى أى نوع ينتمى زوجها جانيش . . فان زواجهما لم يمض عليه أكثر من أربع سنوات . . ! !

وقالت فى نفسها : « اذا كان جانيش من النوع الثانى . . فاننى أكون قد فعلت خيرا ببتر علاقته الغرامية الأولى . . أما اذا كان من النوع الأول . . ! وكانت فى حياته نساء عديدات . . ! فانه . . حينئذ لا يكون أهلا لأية تضحية . . !! ولكننى أحبه . . أحبه . وسوف أنتظر . . وأصبر عليه . . الى أن تتكيف الأمور !!

وتوفيت الجدة وهى فى الخامسة والثمانين من عمرها . . وفى خلال مرضها . . وقبل وفاتها . . كان المنزل يموج بأولادها . . وأحفادها . !!

وبعد انتهاء مراسم الجنازة . . بحثوا فى مخلفاتها . . ووجدوا لفافة . . ملفوفة بقماش أحمر . . بها مجموعة من الخطابات . . وكانت المظاريف كلها معنونة باسم « مس جوان أندرسون » ، شارع الملك ــ لندن ــ وكان الحبر باهتا . .

وكانت هناك أيضا مجموعة أخرى من الخطابات مكتوبة بخط نسائى رقيق . . ومعنونة باسم الجد . . !

وكانت كل الخطابات مغلقـة كما هى فى مظـاريفها . . لم تفض . . الا خطابا واحدا فقط . . !!

والتقط ابن الجدة الأكبر الخطاب المفتوح . . وأخرجه من مظروفه . . ووجد به صورة لفتاة تضع قبعة كبيرة على رأسها . . وترتدى قفازا ورداء طويلا يصل الى الأرض . . من طراز قديم العهـد . . !!

وصاح الكل :

ـ من هذه الجوان أندرسون . . ؟ ولماذا تكتب خطابات لجدنا . . ولم لم تفتح كل هذه الخطابات . . ؟ لم ظلت مغلقـة حتى الآن . . ؟؟

وقلبوا الخطابات فى أيديهم بتعجب . . وهم يرددون :

ـ لماذا كانت تكتب خطابات له . . ؟ لماذا . . ؟ لماذا . . ؟

وكانت سوميترا وحدها من تعرف الاجابة على كل هـــذه الأسئلة . . ولكنها لم تقل شيئا . . !! انه سر الجدة . . ولم تكن فى حل من أن تبوح به . . !!

وحينما قال عمها . . وهو ابن الجدة الأكبر . . :

ـ دعنا لا تتداخل فى أسرار جدتنـا . . !! وأحرق كـل خطاباتها . . أدركت سوميترا . . بأن هذا القرار هو القرار الذى كان يجب أن يكون من البداية . . !!

□□□

متعة



●● اننى فى الرابعة والاربعين •• وهى ••
فى الثانية والعشرين •• ؟

الحمام . . كان جنته الخاصة . . نصف ساعة صباح كل يوم يغلق فيها نفسه عن المناظر والأشـياء . . والعالم الخـارجى ، للاستسلام الى جانبه الفلسفى . . كما يدعوه هو . . !

حلق ذقته ، ثم تحول ليقبع أمام الصفحة الرياضية .. وحينئذ لمح بابهام . . ساقيه المشعرتين . . ابتلع بطنه ليؤكد حصـانته الطبيعية . . !

فى الرابعة والأربعين من عمره ، ولم يتزوج . . يعيش فى منزل من ثلاث حجرات . . وطعام محفوظ . . وكلب لا يختلف عنه ، ثقيل المعدة . . طويل الأذنين . . بلا أصدقاء خصوصين ليدعوهم، لم يكن أبدا رجلا طبيعيا .. وأبدا لن يكون ! ولكنه كان راضيا تمام الرضا هكذا . . بلانساء . . ! أبدا لم يكن له رفيقة يتكىء عليها . . واذا ما شعر بتأزم خاص . . ! فانه يذهب . . ويدفع ، ان هذا أقل ارتباكا . . !! ولم تكن هناك وعود أو ارتبـاطات ليحتفظ بها . . ولكن . . هذا . . ! كان يحدث نادرا . !

وكان زملاؤه يثورون عليه من أجل هذا ، وخاصة وأنهم لم يتمكنوا من اقناعه ، آملين أن يخرجوه من هذا الاطار . . ولم يدركوا بأنهم أبدا لن ينجحوا فى ذلك . . وهو بكل بساطة . . ! لم يكن ليأبه بهم . . !

وللغرابة ، فان عدم مبالاته هذه . . لم تكن لتثير النساء ، وتجعله سرا غامضا حتى يكتشفنه . . !!

وجذب السلسلة . . ! ! ثم وضع حذاء ناعما من القماش ، وابتدأ المنظر الثانى من الصبـــاح . . فمشى لخمس عشرة دقيقة الى أقرب ملعب لكرة القدم ، ولم يكن قلبه فى مكانه فى هــذا اليوم . . وللوقت أصاب الهدف . . وللمرة الثالثة خرج للمشى . . وأخيرا . . ! وقف جانبا . . وو . . ومضغ ورقة من الشجر . . !

كانت ما تزال مختمرة فى ذهنه . . انها لم تأت من أســبوع تقريبا . . أبدا لم يتمكن من التحرر من التفكير فيها . . لقد أمتعه ذلك فى أول الأمر . . ووضعه فى بند « منتصف العمر . . السن الحرجة » . . ! ولكنها بعد ذلك حين التحقت بالمكتب . . ابتــدأ عنده الشعور غير العادى . . ولكن . . باحساس ممتع . . !! كان مثيرا . . وغير مريح . . وتدرجت المتعـــة حتى أصبحت تخوفا مختلفا . . ولم يعجبه هذا . . لقد رفضه الصف الأول من الأبطال منذ مولده . . ولم يرغب فى الحصـــول على أية جائزة لكمـــال الأجسام . . !! ولم يكن يعرف أحكام لعبة الحب . . !! ولكن . . الآن . . فان جاذبيتهـــا القوية كانت تدعـــوه الى الدخـــول فى المباراة . . نعم . . يجب أن يبتدىء فى المبارزة . . ! لا . . لا . . ان هذا لخطأ . . خطأ . . لأنها قد ابتدأت فعلا . . وشـــعر بأنه أعزل . . وبلا سلاح . . لقد تبعها مرتين الى الريستوران للغذاء . . حيثما يتفضل لتحياتها . . لم يسألها أن تجلس معه على المائدة ،

وفى يوم الأربعاء دفن رأسه فى مقدم عربته بلا حاجة الى ذلك ، عندما كانت هى تنتظر الأوتوبيس . . لم يعرض عليها أن يوصلها وأمس . . تعمد أن يلمس ذراعها . . ! واحترق بالخجل من تصرفه المراهق !! وهمس لنفسه : « يا لك من رجل قذر . . !! » .

وفى كل مرة كان يراها فيها . . يشعر بدبيب النمل . . وسريان حبات الرمل . . وخدر لذيذ يسرى فى كل جسده . . !!

وفى نهاية الأسبوع الأول من هذا الاكتشاف . . أدرك سره النشيط بألم . . ! من مروره عليها فى صالة التاييست الزجاجية . . والضحكات الناعمة تموج بها . . !

وهكذا ، جلس محبوسا فى الكابين الملحق بحجرة مكتبه . . تعيسا . . وحيدا . . منطويا . . !

انه يدفع كثيرا لمن يخبره : ماذا تظن فيه بحق الشيطان . . ؟

وفى يوم الجمعة التالى ، سمعها تتهامس مع زميلاتها عنه . . مما ملأه زهوا . . بكبرياء متملك سخيف . . ! شدد من رابطة المودة التى يشعر بها من نحوها !! وخلع حذاءه القماش ، باحثا عن ثقب فى النعل . . مقارنا بينه وبين صدى الجرح المقابل . . !! وابتدأ يحلق ذقنه . . !

وبعد ساعتين . . كان مسجونا فيهما فى الكابين ، وصوت الدوى الناتج من جهاز التكييف يطن من حوله ، جلس يكتب اسمها فى أوراق المذكرات . . ويزينها بالزهور . . ويسود كل حرف

ليبرزه . . وتطلع بملل الى الأوراق الرسمية المفروض توقيعها . . !
واستمر فيما هو فيه . . ! وطلب القهوة . . !!

« انها لم تحضر بعد . . نصف ساعة تأخير . سيكون يوما طويلا جدا اذا لم تحضر ! » انه يتعجل . . هل هى مريضة . . ؟ ربما ! حسن جدا .. انها فرصة ذهبية لكلمة صغيرة . . وباقة من الأزهار . . وابتدأ يكتب الرسالة !

وماذا اذا ما كانت ستترك العمل . . ؟ تركته . . ؟ لن تعود .. ؟ لن تعود أبدا ؟؟ لا أعصاب لديه ليسأل فى الخارج . . لعنة الله على المكتب . . لقد انسكبت القهوة . . !!

ربما تكون قد أخذت هذا اليوم أجازة . . ؟ وانقصف القلم ، تاركا اسمها مكتوبا على الورقة ومكررا سبع وثلاثين مرة .. ولم تأته بعد . .

واستبدل القلم !

وفى داخله كان هناك شىء ما . . يتمنى باشتياق أن تكون مريضة . . هذا قليل . . ولكنه يكفى لكى يختبر مؤهلاته الغرامية . . ! ولكن أولا . . وقبل كل شىء ؟؟ أين هى من الجحيم . . ؟

وأغمض عينيه . . انه الحب . . صاف . . وشفاف كحبات الثلج . . السبب الأول الذى سمح له بأن يعيش حتى الآن . . الرجال بعد سن الرابعة والأربعين لا يكونوا ماجنين .. ولكن

هناك ملاحظة غير مطابقة تماما . . !! انها ليست البحيرات السائلة الذليلة المستكنة فى عينيها هى التى خلبت لبه . ولا شكلها الشيطانى الجميل . . ولا شلالات شعرها الأبنوسى الطويل . شفتيها الورديتين ولا ابتسامها الصادرة من ، القلب ، كما تقول الكتب دائما . !!

انها تلك القلوب . . !! ألم يذق هؤلاء الكتاب الحب . . ؟؟

لقد مرت به كل هذه الأفكار . . أبدا لا تتوقف . . لقد استسلم بعد اشارة احتجاج . . والآن . . انها تلعب اللعبة الرئيسية فى لعبته العقلية . . !!

لعنة الله عليها .. لقد أوشكت الساعة على الحادية عشرة .. أين هى . . ؟ بحق الجحيم . . ؟؟ ان عنده اجتماعا فى الحادية عشرة والنصف .. ولن يعود قبل الثانية .. ثلاث ساعات رهيبة .. بعيدا ، ووصل صبره الى النهاية . . وزادت غضباته ، سوف بطردها خارجا . . لا طريق لعودتها للعمل . . يجب أن تؤدب . . ترتدع . . تدرك سلطتى . . انه مكتب يا سيدتى . لا يبيح مثل هذا التأخير . . !!

وسمع صوتها . . وأزاحت الراحة كل المتاعب بعيدا . . بعيدا . . ! وكور الورقة المكتوب فيها اسمها ، ووضعها فى جيبه .. ثم انساب الى مكتبه . . وأرسل فى طلبها . . !

وأتت . . وسال لعابه كطلمبة المياه . . وأسقط عينيه على

تهديها . . انهما يبعثان على الرعشة كماكينتى كهــرباء ترسلان اشعاعاتهما . . مستقيمتين . . كاملتين . . !!

وداعبت رائحتها الحلوة أنفه . . واستمتع بها للحظة .. دعاها الى الاقتراب منه . . ثم عاد الى مهنته . . ابتدأ ببطء . . ثم تذكر عذابه فى انتظاره لها الطويل الذى حطم أعصابه . . فهــاج . . وماج . . وصاح . . وشوح بيديه . . !!

وبعد ذلك ســمع بأنها كانت تبكى فى حجرة السيدات . . وعندما عاد من الاجتماع لم تكن فى مقعدها . . ماذا لو استقالت .. هل يمكنك أن تحتمل هذا . . قاســيا كنت على حق . . ؟ اذا ما فعلت ذلك . . ؟؟ آه دعها تفعل . . من يهتم . . ؟

صاح بصوت عال : أنا أهتم . . !

ونظر اليه الآخرون . . !

وفى صباح اليوم التالى . . هرع حول ملعب الكرة . . ليربط نفسه فيه أطول وقت ممكن . . ان هذا سوف يسهل العمل . . وسار ببطء . . مبيحا لها أن تسير بجواره ، وكان رداؤها الأزرق انيقا ومريحا . وتهدلت خصلات شعرها على جبينها . . ! ورأى فتى وفتاة يسبران عبر الملعب ، يبتسمان للحياة ابتسامة الثقــة والشباب . وأيديهما متشابكة . . !!

وتمتع بهذا الخيال . . وفجأة بترت متعته . . لقد اختفت . . !! وارتمى على الحشائش . . هل يعتذر اليها عن البارحة . . !! نعم ! فى هذا شيء من الرجولة . . ليفعله . . هل يفعل . . ؟

لا . . لا ! هل يدعوها للعشاء كدعوة للسلام . . ولم لا . . ؟
يشترى لها هدية . . ؟؟
يسألها أن تتزوجه . . ؟؟
يا لها من أفكار سليمة . . مثيرة . . سعيدة . . جافة محطمة للقلب . . !

« أننى فى الرابعة والأربعين وهى فى الثانية والعشرين ..كثير من الحياة عندى !! ولكن . . ؟ اذا ما قالت : لا . . ! » .
ماذا تريد المرأة . . ؟
الأمان . . الحب . . بيت . . ؟ رجل . . ؟ مال •• ؟؟
يمكنه أن يوفر لها كل هذا . . !
وقرر : اليوم سأدعوها للعشاء . . !

□ □ □

ولم يعرف كيف يصل الى غرضه . . وعندما أراد أن يقول لها ما يريد . . رآها تغادر المكتب . . وعندما أدرك بأنه لا يعرف أين تسكن . . قرر أن يتبعها . . ولكنه سريعا ما فقد أثرها . . !

وعاد الى منزله . . دغدغ أذن الكلب . . فتح علبتين من العلب المحفوظة . . تركهما دون أن يأكل منهما شيئا . . استلقى على الفراش . . !! داعبها بالحب . . صنع معها الحب . . بقسوة . . ! بمرارة . . ! بذكورة . . !! بأذى . . وفى النهاية بهجوم . . !

تذلل بالذنب . . غسل أسنانه بالفرشاة . . اغتسل . . شعر بالضعف والقذارة . . غير الفراش . . كارها بلا تصديق . . ! كارها وفرحا بقوته الجنسية . . !!

غدا سيفعل . . سيجعلها تقول : نعم . . قطعا هى لن ترفض ! ولماذا ترفض . . !!

بلا رعشة : هل تتزوجيننى . . ؟؟

وفقد القدرة على التركيز فى اليوم التالى . . !!

وفى طريقه الى المكتب ، توقف ليشترى لها هدية . . لقد كان الوقت مبكرا . . والحوانيت مازالت مغلقة . . اذن ليكن فى العودة . . !

وابتسم لها . . وردت اليه ابتسامته بابتسامة مثلها . . ان الوقت مازال مبكرا حتى يسألها . . فيما بعد . . فيما بعد . . فى مساء اليوم ، يكون أفضل !

وأشعل سيجارا . . نفخ فيها . . وومضت فى الطبق المعلق . . !

انها تبدو سعيدة اليوم . . سيأخذها الى مكان ما . . مكان جميل . . أى مكان . . ومع الجو الساحر . . سوف يقول كل شىء . . !!

وقرع الباب . . ودخلت . .

وقف . ودق قلبه هازئا منه . . !!

بعصبية . ناولته مظروفا . . !!

سأل باجراء تهليلى :

ـ ما هذا . . ما هذا . ؟

قالت : انه لك . . أرجوك أن تحضر . . !

واستمر ليكون مهللا :

ــ هنأها . . وشد على يدها . . !

« هيه . . اتصاله الطبيعي الثـاني . . والذى يدعوه هـو أخيرا . . بالبرود المضاد . . ! »

وفتح المظروف قائلا :

ــ ومن هو الرجل السعيد الحظ . . متيم مثلى . . ومتى يكون اليوم الكبير . . ؟ أيتها الفتاة الشقية . . تحتفظين به سرا . . يجب أن أقابله . . !!

وخرجت . . !!

وأسرع الى البيت . . !! وذهب واستلقى فى الحمام . . !!

« المرأة مضطجعة على الفراش . . تنظف أظافرها بينسة شعر . . » انها تتقاضى مائة جنيه لليلة واحدة . . !.

لساعتين وهو ملق فى الحمام .. هناك على الأرض .. وهزت المرأة كتفيها . . هيه . . انها نقوده . . !!

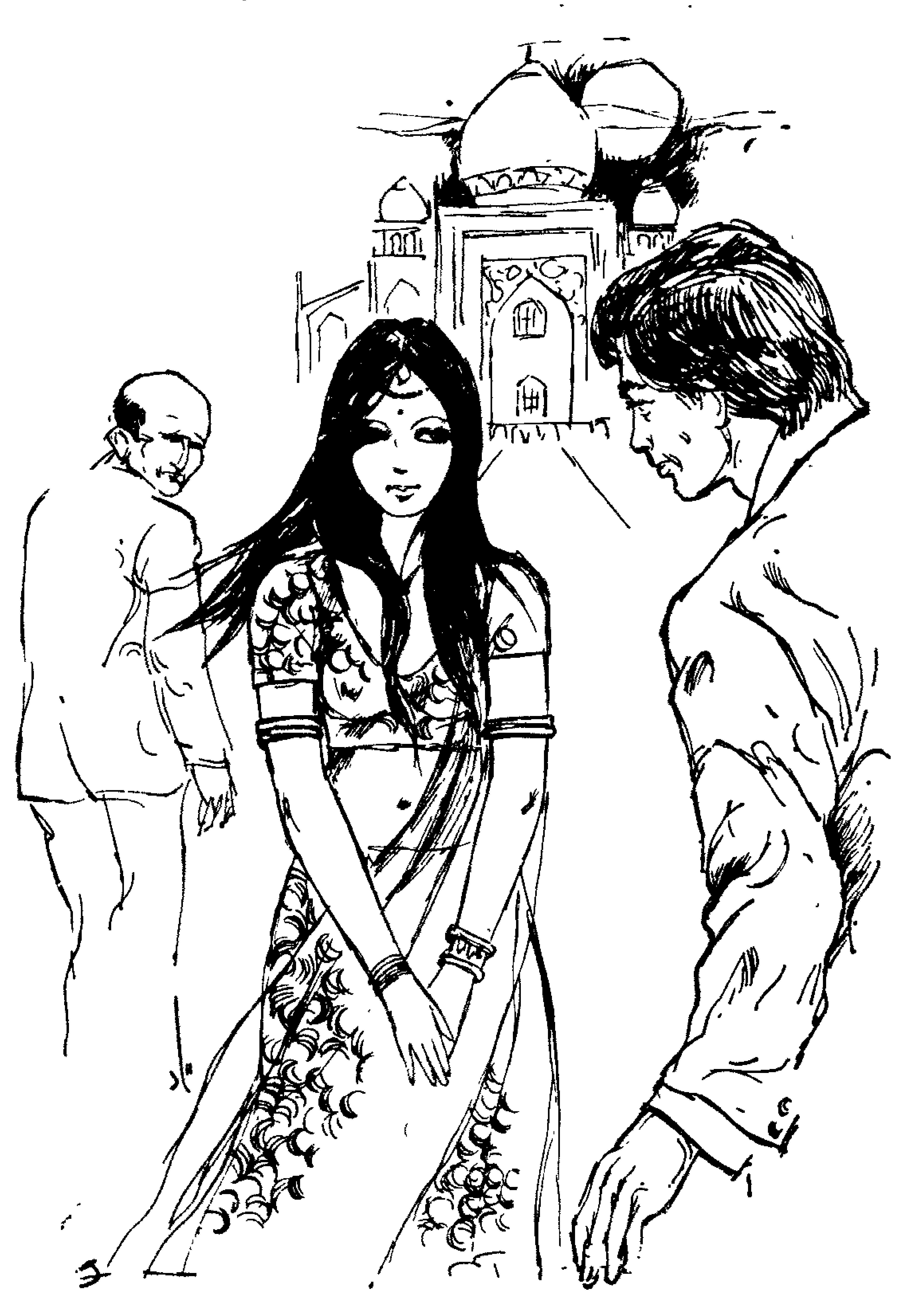
وفى الحمام جلس يفكر . . انه أفضل مكان للتفكير . . مغلقا . . بعيدا عن العالم الخارجى . . وبوهن . . من خلال الباب المغلق . .ينساب اليه صوت تقليم الأظافر . . !!

وعندما جذب السلسلة . . !! انتفض . . !!

لقد كان من الأفضل أن يصرف المائة جنيه فى هدية الزواج .. !

□ □ □

الإختيار الخاطئ!



لقد اخذت الأمور مجراها الطبيعى فى النهاية .. !

دانيش يعمل ملاحظا فى مصنع . . وهو متزوج من رادها . . فتاة بسيطة صريحة . . وعندما شعر بمرارة الحياة معها . . وفى لحظة غضب . . قذف بها الى منزل أبويها فى « شالابور » . . ! ولكنه فيما بعد . . افتقد وجودها معه . . وذهب الى المحطـــة ليعيدها ثانيا . . !

وهو فى حالة انتظار بالمحطة . . ليبتاع التذكره . . اقتربت منه فتاة رشيقة بطريق الخطأ . . لاعتقادها بأنه شـــخص آخر يدعى « جاكومار ديهى » كانت تتراسل معه بقصـــد الزواج . . وكان متفقا أن تلقاه على المحطة . . !!

وفى أول الأمر . . أخذ دانيش من نظرات الفتاة له . . ولكن بروح المغامرة تماشى معها . . واثقا كل الثقة بأنه فى النهاية سيتمكن من تسوية هذه المسألة . . !

ولكن فى مسكنه . . وعندما سمعت الفتـــاة . . والتى كان اسمها (مونا تريباثى) أنه ليس غنيا . . وأنه لن يذهب الى أمريكا كما كانت تعتقد فى « جاكومار » الحقيقى . . انهمرت دموعها . . وأجهشت بالبكاء . . ودانيش الآن فى ضياع تام لعـــدم امكانه تسوية هذه المشكلة . . حين فتح البـــاب ، ووقفت على عتبتـــه « رادها » تنظر اليه فى ذهول .. وصدمة بلا تصديق لما ترى ..!

وسقطت منها حقيبة الثياب . . ورفعت كلتا يديها لتمســك وجنتيها الملتهبتين . . وراحت تحرك نظراتها من دابيش طورا الى مونا تارة أخرى . . ثم استجمعت كل قواها . . وصفقت البــاب وراءها مندفعة الى الطريق لا تدرى الى أين المسير . . وأطرقت حائرة . الى أين تذهب يا ترى . . ! لا يمكنها أبدا أن تعود الى زوجها . . ليس لديها أى صديقة لتذهب اليها . آه أمها . . لم يبق الا أمها ثانيا لتعود اليها فى « شالابور » . . وسارت فى اتجاه المحطــة . . !

* * *

وفكر « جاكومار » وهو يقف على المحطة وينظر فى ساعته :

ـ حقيقة . . لم أفتقدها بعد . . !

انه يعلم بأنه قد حضر متأخرا . . كان هــذا بسبب هــؤلاء اليابانيون الذين حضروا لزيارة المصنع . . ولكونه المدير ، كان عليه أن يرافقهم فى هذه الزيارة . . !

ـ نعم . ها هى . . تجلس هناك على البنك . . كان ساريها معبرا ومكرمشا من السفر . . واقترب منها . . انه يستطيع أن يراها الآن جيدا . . نحيفة . . وأنف طويل بديع . . وفكر جاكومار ربما شديدة النحافة . . ولكن هاته الفتيات العصريات عندهن هوس بشىء اسمه « النحافة » . . !!

قال : هاللو مس تريباثى . . !

وأدارت « رادها » رأسها . . ورأته . . !

كان يرتدي بدلة رمادية . . وربطة عنق زرقاء . . ويبدو أنيقا . . شعر وحذاء يلمعان . ساعة ذهبية فى معصمه وخاتما فى أصبع يده اليسرى . . وسيجارا يحترق فى يده اليمنى . . ! لم يكن وسيما . ولكنه مريح . بشارب بديع تحت أنف أفطس ، ويبدو فى منتصف العمر . !

سألت « رادها » فى ارتباك :

ــ من أنت . . ؟

واستطاع أن يلمح دموعها ويدرك بأنها كانت تبكى . . كانت هناك دوائر سوداء حول عينيها . .

اوضح لها « جاكومار » قائلا :

ــ أنت لا تعرفيننى . . ولكننى أعتقد بأننى قد وصفت لك نفسى جيدا . فى خطاباتى . . أرجوك . . تعالى . . اقتربى . . أين أمتعتك . !

قالت رادها : أننى لا أرغب فى الذهاب الى أى مكان . وليست عندى أية امتعة . .

وفكر جاكومار فى نفسه . . : انها تبدو صعبة . . !!

ولكنه طالما أعجب بالنساء العنيدات . . ورق صوته قليلا وهو يقول :

ــ أننى آسف لتأخيرى يا مس مونا . . ولكننى كنت مشغولا

بالمكتب .. ولكن يمكن تدارك الوقت الضائع . . ! هيا . أسرعى . . !!

وأجابته رادها بحدة . . :

ــ أننى لن أذهب معك الى أى مكان . .

قال جاكومار بهدوء وهو يقترب منها أكثر :

ــ اذا لم تأت . . فسوف أحملك بنفسى . . !

وانتفضت واقفة . . ماذا تفعل الآن . . ربما كان مجنونا . .

وفكرت فى أنه ربما يكون واحدا من الذين يسرقون الفتيات ويبيعونهن للاستغلال فى أمور شتى .. ما عليها الآن الا أن تتذرع بالشجاعة . . !

وأمسك جاكومار بيدها بشدة قائلا : هيا الآن يا مونا . . !

وسحبت مونا يدها وتبعته حيث قادها الى عربة سبور أنيقة وانحنى يفتح لها الباب . . ولم تدر ماذا تفعل . . وفى الوقت نفسه كانت هناك دراجة آتية بسرعة فى مواجهتها . . ولتتفادى الإصطدام بها . انزلقت بسرعة لترتمى على مقعد العربة . . وجلس جاكومار ليقودها عبر الطريق . . !

صرخت رادها : انتظر . . !

سألها جاكومار : ولماذا . . ؟

ــ أننى لست . .

ـ أعرف أنك غير مرتبطة بأى شـــخص ولكن هــذا فى صالحنا ما دمنا سنتزوج . . !

نتزوج لقد أوشكت رادها على الجنون قطعا هــذا الرجل مختل . أول شىء تفعله هو أن تخرج من هذه العــربة حال وقوفها !!

ومد ذراعه يحيط بها المقعد الذى تجلس عليه . وانكمشت هى فى ركن بعيد ما أمكنها . وأتيا الى مبنى كبير يلتف به حائط من الأحجار وفتحت البوابة بواسطة خادم حيث مرت العربة الى الداخل . وفكرت رادها :

هنا ضاعت كل فرصة لى للهرب . !

وانحنى لها جاكومار :

ـ مرحبا بك فى بيتك . . اقامتنا هنا ستكون قصيرة . !

وسألت رادها : لماذا . . !

ثم فكرت فى نفسها : هل سينتهى منها سريعا . !

وصعدا السلالم . ورحب بسيدهما كلبان ضخمان . . وربت جاكومار على رأسيهما . . ثم التفت الى رادها قائلا :

ـ أبدا لن يسمحا لأى مخلوق باختراق الأرض . . !!

وفكرت رادها : ولن يســمحا أيضــا لأى مخلوق للذهاب خارجا . . ؟؟

وفتحت لهما البــاب امرأة لطيفــة ترندى نسارى .. قدمها جاكومار اليها قائلا :

ـــ هذه مديرة منزلى .. ولن يكون بعد ذلك أية ضرورة لمديرة منزل ما دمنا قد تزوجنا ..!

وسألت رادها ببراءة وهى لا تفهم معنى كلمة مديرة منزل

ـــ بالطبع لا .. ان المنزل سيكون دائما هناك لماذا يجب أن يحرسه أحد ..!!

وألقت رادها نظرة جائعة على كل شىء فى المنزل .. لقد بدا رائعا فخما .. حديثا وأنيقا ..!!

وقادوها الى غرفة قيل بأنها خاصة بها ..!

ـــ ستجدين هنا الأشــياء التى تحتاجين اليها فى ملبسك وزينتك .. لقد تركتها زوجة ابن عمى عنــدما كانت فى زيارتها الأخيرة هنا . يمكنك استعمالها ..

قال هذا وتركها خارجا ..!

وذهبت رادها الى الحمــام .. واغتسلت . وعندما خرجت وجدت على السرير قميصا وبنطلونا من الجينز ووقفت تنظر اليها حين دخلت عليها مديرة المنزل :

سألتها رادها وهى تشير بأصبعها ناحية الثياب :

ـــ ما هذا .. لا يمكننى ارتداءها أبدا ..

ـــ حسنا يا سيدتى .. ظننت انك تحبينها ..!

أجابتها رادها : لا .. أريد ساريا بسيطا ..!

وأعارتها مديرة المنزل واحـــدا من عندها . وأخبرتها بأن الغذاء معد . والسيد فى انتظارها ..!!

ورفع جاكومار عينيه من على حافة كأس الخمر .. وصدمه منظرها .. لكنه ظل صامتا .. وصب لها كأسا من الخمر ولكن رادها رفضت احتسائه بحدة .. مما جعله يرفع حاجبيه تعجبا .. وبعد الغذاء صاحبها الى المكتبة ..!!

صاحت رادها :

ـــ يا لها من كمية من الكتب ..!

وسألها جاكومار : من هو كاتبك المفضل ..؟

ـــ كاتب ..؟ أى كاتب .. لا يوجد عندى واحدا مفضلا ..!

ـــ لماذا .. ألا تستمتعين بالقراءة ..؟

قالت : آه القراءة .. بالطبع .. أننى أقرأ مجلة أو اثنتين ..!

ـــ لكن بالتأكيد لديك بعض الأشعار والروايات التى كنت تدرسينها فى الكلية ..!

ـــ أننى لم أذهب الى الكلية ان أبوى يعتقدان أن الزواج هو النهاية الوحيدة ..!

وأكتسى وجهه بخيبة أمل عميقة .. وفكر فى نفسه .. لتحصل على شهادة أو لا تحصل .. فهذا ليس له أى اعتبار ..!!

ودلفا سويا الى البلكون .. وكانت الأزهار تتعانق فى قوس نظللهما .. ووقفا جنبا الى جنب يتطلعان الى النافورة أمامهما ولف، جاكومار ذراعه حولها .. واحمـــر وجـــه رادها وصاحت بتوحش :

ـــ لا .. لا تفعل ..!

ـــ ولم لا .. حالا سنصبح زوجين ..!

قالت وهى تجرى من أمامه ..

ـــ لا .. لا .. لا ..!

وصدم جاكومار وأشعل سيجارة ببطء .. لقد أثارت الفتاة أعصابه .. اذا كان هذا يحدث الآن .. اذن ما هو شعورها نحو زواجهما .. وما سيحدث فيما بعد ..!

واندفعت رادها الى السلالم ثم الى خارج المنزل كله .. وراحت تتطلع هنا وهناك تبحث عن الكلاب .. ودلفت من البوابة الجانبية الصغيرة .. وسارت بعيدا ..!!

□ □ □

ونسيت مونا نحيبها عند دخول رادها .. سألت :

ـــ من هى ..؟

وللحظة . لم يتمكن دانيش من الاجابة ..

ـــ اذا كانت واحدة من صديقاتك .. انساها ..

سأل دانيش :

ـــ هل أنت غاضبة ..؟

ـــ غاضبة .. بالطبع لا .. ولكننى صدمت ..!!

ورفعت اليه عينيها ببريق حب وقالت :

ـــ حب مثل حبنا لا يمكن أن يضيع ..! حتى لو كنت لن تذهب الى أميركا أو شىء آخر .. فان هذا لا يكون حبا ..!

وبعد لحظة صمت .. استمرت قائلة :

ــ والآن .. أنا أعرف بأننا سنكون فقراء .

هذا لا يهمنى .. فقط أنا أريد ٢٠٠ روبية لزينتى ومجلاتى . واستطيع أن استغنى عن كل كمالياتى ورفاهيتى ..!

وأتت اليه وركعت أمامه واضعة ذقنها على ركبتيه ..!

ــ لا يهمنى اذا ما كنت فقيرا ما دمت تحبنى .. تحبنى أنا وحدى .. هل تعرفها من مدة ..

وأدرك دانيش ان ما تقـوله مونا هـو عن رادها .. هيه ٢٠٠ روبية .

يا الهى هى لا تعـرف ان ضعف هذا المبلـغ يساوى كل مرتبه .. كل مرتبه !

قال لها بحدة :

ــ انظرى هنا .. اسمعى .. اذا ما كنت تقصدين السيدة التى دخلت هنـا الآن .. فانهـا زوجتـــى ..! أننى لسـت جاكومار أو أيا كان هذا الاسم .. وأنا لا أحبك ..!

وكانت تتصارع هى ودموعها ..!

ــ متزوج .. فعلا متزوج من امرأة .. وتقول بأنك لست جاكومار .. أننى أكرهك .. أتمنى لو أموت ..

وانهمر طوفان الدموع .. وحملت حقيبتهـا وخـرجت من البـاب ..!

وجلس دانيش متعبا .. « رادها » .. نعـم .. لقـد كانت دائما زوجة طيبة .. ولو أنها بسيطة وصريحة .. ما الذى جعله

يفعــل ذلك .. يجب على أن أقــود مونا الى حيث تريد أن تذهب ..!!

وتمنى دانيش ألا يكون قــد تأخــر فى الذهــاب الى « شولابور » ..!!

وكانت المحطة مزدحمة والقطــار الى شولابور على وشك التحرك .. وتوقف دانيش .. هاهى رادها تجلس وحيدة على المقعد .. قفز الى القطار وهو يتحرك ...!

قال : وهو يجلس بجوارها :

ــ رادها ..

واندهشت رادها .. لكنها لم تســأله أى شيء عن مونا .. وأوضح هو لها كل شيء .

سألته :

ــ هل ابتعت التذكرة ..؟

ورد بغباء :

ــ تذكرة ..!

واقترحت عليه قائلة :

ــ يمكنك أن تبتاعها فى المحطــة القــادمة .. هذا اذا لم يمسكوا بك قبل ذلك ..!

* * *

وقاد جاكومار عربته بأقصى سرعة متجها الى المحطة بعد أن أخبرته مديرة المنزل بأن السيدة لا أثر لها ..!

واندفع فى المحطة المزدحمة .. ينظر هنا وهناك .. وحين التفت .. وقع نظره على فتاة رائعة المظهر لها شعر طويل فاحم - لقد كانت مونا .. وطوفان الدموع يغمر وجهها ..!!

تقدم منها جاكومار معتذرا :

ـــ أرجو المعذرة .. هل يمكن أن أقدم أية مساعدة ..!!

قالت : نعم .. خذنى من هنا .. لا استطيع تحمل ذلك ..!

أجاب : بكل سرور ..

وأشار الى العربة .. وحين دلفت اليها انهارت مشاعرها وفاضت دموعها .. وراحت تقص عليه قصتها .. واختتمتها قائلة :

بأنها تكره كل الرجال .. وأكثر ما تكره هو اسم « جاكومار » ..

قال : ولكننى أنا جاكومار ..

ـــ ديهى ..؟

ـــ ديهى ..!

وسألت متحيرة :

ـ ولكن كيف ..؟

قال جاكومار وهو يفكر فيما حدث له فى ذلك المساء :

ـــ لابد وأن كل ما حدث كان بطريق الخطأ ..!

وسارا الى منزله فى ضوء القمر ..!!

لقد أخذت الأمور مجراها الطبيعى فى النهاية ..!!

□ □ □

دواء للعقل



●● بدلا من دراستك للطب ..
كان الاجدى بك أن تكونى مدرسة .. !

بالرغم من أن المدة التى قضاها الدكتور « مادافا راو » فى القرية ، لم تزد عن الخمسة أو الستة أشهر .. الا أنه اكتسب شـــهرة خاصـــة كطبيب .. اذ كان عميق التعاطف مع الفقــراء من المرضى ..!

فى البــداية .. اعتقــدت مساعدته فى المستشفى « دكتور كمـــالا » !نه انما يفعـــل ذلك تحت رغبـــة خفية فى اكتساب شعبية .. من طريقته هذه ، لكنها فيما بعد .. أدركت أنه فعلا يقدر عمله ويحترم مبادئه ..!!

وفى ذات صباح ، كانت كمالا تبحث عن الدكتور مادافا راو .. لتخبره بعدم استعدادها للتواجد بالمستشفى بعد الظهر ، عندما شاهدها هو بنفسه ، وأتى مقبلا عليها .

قالت : حسن ..! يا دكتور ، أن لدى بعض الأعمـــال بعد الظهر ، وبما أنه لا توجد حالات خطيرة .. فأننى فكرت فى أنه يمكننى الفراغ منها بدلا من رجوعى الى هنا ..!

وابتسم الطبيب موافقا .. وحين سيرهما فى الممر ، لمحا فتى يافعا يقود رجلا عجوزا .. مخترقين لبوابة المستشفى ، وهرع الفتى الى الطبيب ، ولكنه لم يتمكن من التعبير عمـــا بنفسه ، بل وقف صامتا يلفه الخوف ..!

كانت ســـاق الرجل العجـــوز ملطخة بالدماء .. تنزف من الركبة .. سائلة الى أسفل ، ويبدو واهنا .. ضعيفا .. يكاد أن يسقط اعياء ..!

سأله الطبيب :

ـــ ماذا حدث .!؟

وأخذ الفتى بعض الوقت ليجيب : لقد عضه كلب ..!

قالت كمالا : ومن ذا الذى سوف يهتم به فى هذا الوقت ..؟ اننا ذاهبان الآن لتناول طعام الغذاء .. وبجانب هذا ، فانه يجب أن يأخذ عددا من الحقن .. التى قطعا سوف تزيد من آلامه .. خــذه الآن الى البيت ، ودع أى شخص يلصــق له ورقة من أوراق اليقطينة اللزجة .. لتوقف من النزيف ..!

وابتسم « مادافا راو » قائلا :

ـــ اذا ما كنا نحن أنفسنا نؤيد هذا اللون من العلاج .. فيمكننا أيضا تسليم المستشفى الى أى هيئة أخرى ..!

وحين قــوله هذا .. رافق الرجل العجــوز الى الداخل .. نظف الجرح .. ضمده .. وسأله أن يحضر للمستشفى فى اليوم التالى ..!

وهنا علقت كمالا على قوله مازحة

ـــ دكتور .. انك تعــالج المرضى فى أى وقت يحضرون فيه .. وهكذا يعودون فى أية ساعة ليزعجونا .. ودون مراعاة لشعورنا وأوقات راحتنا ..!! آه كم يكون رائعا لو أبديت مثل هذا الاهتمام لزملائك ..!

وهنا أنبها مادافا بلطف : اذا ما كنا نحن ننزعج .. اذن كيف تسير المستشفى ؟ هل يعرف الكلب أوقات عملنا ليقول لنفسه ، هذا رجل عجوز .. دعنى أعضه الآن .. وأرى أى طبيب سوف يقوم باسعافه .. بدلا من دراستك للطب .. كان الأجدى بك

أن تكونى مدرسة ..!

وأجابته كمـالا وهى غارقة فى الضحك : اذا ما كنت أنت أستاذا فى الفلسفة .. فانك سوف تشفق على كل شىء تراه .. وتزعج الآخـرين بمكرماتك .. على أن أزور زوجتك .. حتى تحولك الى انسان ردىء ..!

ــ انها ستكون غلطة منك لو حاولت مقابلتهـا .. فانك سوف تنسين أن تخبريها بذلك .. لأنك أنت .. سوف تكونين مكرهة على تغيير نفسك ..!

ولاحظت كمالا بأن هناك رضاء خاصا فى ضحكته ..

قالت : أوه ! ان الوقت متأخـر على أن أذهب لأطهـو الطعام ..!

ــ لم لا تأتين الى منزلنا وتأخذين طعامك معنا ..؟

ولم تستطع كمالا رفض الدعوة .. وسار سويا الى منزله .. وقدم مادافا زوجته الى كمالا قائلا : لقد دعوت صديقتنا للغـذاء ..!

والتفتت شاكوتالا الى كمالا مرحبة بها ..!

وسألتها كمالا : هل نسيتيننى ..؟

وبدلا من أ نتقودها شاكوتالا الى مقعدها كأى فرد تعرفت به حديثا .. احتضنتها بشدة ..!

ــ أننى شـيتى .. لقـد كنـا يوما ما جيرانا .. هـل تذكريننى الآن ..؟

ــ أوه .. يا الهى .. لقد تغيرت كثيرا ..!

ولفترة . . اندمجتا فى الحديث عن ذكريات طفولتهما . . ولم تتوقفا أبدا حتى أثناء تناولهما الطعام . . !

وفى منتصف ذكرياتهما . . حولت كمالا نظرها الى مادافا راو قائلة :

ــ شاكوتتالا فتاة جذابة . . !

ــ أننى أعتقد ذلك . . ! وفوق كل شىء . . فلقد أخذت بجمالها . . !!

وألقت كمالا نظرة فاحصة عبر الحجرة لتحكم على تنسيق المنزل . . فى الوقت الذى ظهرت فيه شاكوتتالا من الحجرة الصغيرة الملحقة . . حاملة طفلتها بين ذراعيها . . وأعجبت كمالا بالطفلة قائلة : يا لها من ضفدعة جميلة . . انها كثيرة الشبه بك يا شاكوتتالا . . !

وتأهبت كمالا للانصراف :

ــ لقد ذهبت البنات الى المدرسة . . لم لا تنتظرين عودتهن . . ؟؟

أجابت كمالا : مرة أخرى . . !!

ثم غادرت المنزل . . !

* * *

بعد ذلك ببضعة أيام . . عادت كمالا ثانيا . . وكان مادافا راو أيضا بالمنزل . . وبدا سعيدا بزيارتها . . وعندما لحقت بهم شاكوتتالا طلب منها احضار القهوة . . وبشكل ما . . أثير موضوع الزواج . . ؟

سأل كمالا : فى تلك الأيام . . كان اعتقادى ان زواج اثنين من مهنة واحدة سيكون شيئا ممتعا ومبعثا للهناء . . فما هو رأيك أنت .. ؟

والتقطت شاكونتالا الكلمات الأخيرة المبهمة . . والتى جرحتها . . ! ولكنها أخفت جرحها . . ولم تظهر آثاره على وجهها . . !

ودخلت بالقهوة . . وتحاملت على نفسها . . واتكأت براحتها على ظهر المقعد . . ثم . . غادرت الحجرة . . !

* * *

والمناسبة التالية التى تقابلت فيها شاكونتالا مع كمالا كانت فى ليلة ممطرة . . حين وصلت مع مادافا راو . . يبللهما المطر . . ويحتويهما الظلام . . ودهشتها الشديدة عند فتحها للباب ، ورؤيتهما هكذا معا . . !

وأثناء العشاء . . شرح مادافا راو الموقف . . وكيف أنهما كانا يسيران عبر الطريق وفاجأتهما الأمطار . . وبصعوبة تمكنا أن يتلمسا طريقهما . . !!

وكانت الأمطار ما تزال تهطل بغزارة . . برق يلمع . . ورعد يقصف . . وزوابع . . حين وقفت كمالا استعدادا للرحيل . . دون النظر الى هذا الوقت المتأخر من الليل . . !

صاح بها مادافا راو :

ــ كيف يمكنك العودة فى مثل هذا الجو العاصف . . لم لا تمضين الليلة هنا . . !!

وبما أنه فعلا . . من البلاهة والطيش المجازفة بالسير فى مثل هذه الزوبعة العاصفة . . فقد وافقت كمالا على المبيت . . !

وفى الصباح ، وهى على وشك الانطلاق . . استوقفها مادافا راو قائلا :

ــ كيف تذهبين دون احتساء القهوة . . ؟

وسأل ابنته (بابى) أن تحضر القهوة . . !!

ودخلت سوزى . . الابنة الصغرى . . وألقت بصينية القهوة على المائدة . . وفى اندفاعها وقعت نظارة كمالا وقلمها على الأرض . . وتناثر زجاجها عبر الحجرة . . !!

وانتهر مادافا راو سوزى بغضب . . وانحنى يلتقط شظى الزجاج ويضعه فى قطعة من الورق . . حين دخل عليه الصيدلى مسرعا ليخبره بأن هناك مريضا فى حالة سيئة . . ونبضه فى غاية الخطورة . . بحيث لا يمكن أبدا الانتظار عليه حتى الصباح . . !

وانزعج مادافا راو انزعاجا شديدا . . واستبدل ثيابه على عجل . . ثم سأل كمالا أن ترافقه الى المستشفى . . ونهضت هى قائلة :

ــ اذن . . فلأودع شاكوتتالا . . . !

أجابها وهو يسير الى الخارج : لا بأس . . عندنا بعض الوقت . .

وخرجت شاكوتتالا من الحجرة مسرعة عند سماعها بكاء الطفلة . . ومن خلال النافذة شاهدت زوجها وكمالا يسيران جنبا الى جنب . . عبر الطريق . . !

وأشـــار الخـــادم مالأيايا بأصبعـــه اليهما وهو يتغامز مع لاكشيمى . . ثم تضاحك الاثنان . . ! !

وكانت لاكشيمى على وشك أن تقول شيئا . . ولكنها عندما لمحت سيدتها فى النافذة التزمت الصمت . . !

وتاهت نظرات شاكونتالا عبر لنافذة . . يعتريها القلق . ويحطمها الانفعال . . وكان مالايايا يزيح الأتربة من على قطـع الأثاث . . عندما شاهدها هكذا ضائعة . . هنا كور قطعة القماش بين يديه واقترب منها هامسا :

ـ لقد سمعت لغطا كثيرا عنها . . وعن سيدى . . !

وغمغمت شاكونتالا بصعوبة . . . :

ـ حسن جدا . . هيا التفت لعملك . . !

وفكرت فى أن تسأل زوجها عن هـــذا الأمر حين عودته ولكنه أتى مصحوبا بصديق . . ولم تفاتحه فى هذا الموضوع .. !

* * *

وبعـــد ذلك ببضعة أيام . . حضرت كمالا فى الوقت الذى كانت فيه شاكونتالا قد فرغت لتوها من الانتهـــاء من خـــدمة الأطفال . وراحت تطلب الراحة والاســـترخاء . . !! مرتدية ساريا حريريا غاية فى الروعة . .

وبادرتها كمالا قائلة :

ـ انك تبدين ساحرة . . أننى لا أكاد أتمكن من رفع عينى عنك لشدة فتنتك . . !

أجابتها شاكونتالا :

ـ أوه . . انه السارى ليس الا . .

وأعقب مادافا راو على قولها قائلا :

ـ ان النساء أبدا لا تمدح الواحدة منهن الأخرى . . انك مختلفة تمام الاختلاف . . !

أجابت كمالا : هذا يحدث عادة عندما تكون الاثنتان جميلتين . . أما بالنسبة لى فهذا أمر يختلف . .

قال مادافا راو : انها أكثر من رائعة . . اننى أعتقد انها قد بدأت تكون أكثر احتشاما . . ! !

وزادت هذه الكلمات من شكوك شاكوتتالا . . واشتد انزعاجها حين التفت مادافا راو الى كمالا قائلا : لقد عزمنا على الذهاب الى السينما . . هل تأتين معنا . . ؟؟

وقبل أن يضيف بركانا مشتعلا الى عقل شاكوتتالا . . سمع صوت ارتطام بالأرض .. وصراخ الطفلة عاليا من وقع الصدمة .!

وكانت هذه فرصة كافية لاعتذار شاكوتتالا عن الذهاب الى السينما . . ولم يلح عليها مادافا راو بل قال لها بأنه سيذهب الى النادى . . !

واستقلت كمالا سيارتها وانطلقت . . !!

وبعد مضى وقت من هذا . . رأت شاكوتتالا الصيدلى يدخل اليها مندفعا فى عجلة ليقول لها : ان أخاك قد اتصل بنا الآن تليفونيا ليقول لك بأنك يجب أن تذهبى على الفور . . لأن أمك مريضة جدا . وقد أخبرنى الدكتور بأن أخبرك بأن تكونى على اتم الاستعداد قبل عودته . . !!

وتخوفت شاكوتتالا عند سماعها بمرض أمها . . وانتظرت عودة زوجها فى قلق . . وأخيرا عاد . . ! واقترح أن يذهبوا كلهم فى العربة . . !

لقد كان منتصف الليل عندما وصلوا الى منزل الأسرة . . وكانت دموع شاكوتتالا تنهمر انهمارا على وجنتيها . . !

وفتح أخوها الباب . . ثم قال بصوت منخفض :

ـ الآن فقط . . ذهبت لتنام . . لقد قال الأطباء بأنه لا محل للخوف . . !

هنا فقط . . ! توقفت دموع شاكوتتالا من الانهمار . . !

قال الأخ لمادافا راو :

ـ فى الصباح . . عندما جلست فى مقعدها كالمعتاد . . شكت من ألم بقلبها . . واعتقد الطبيب انها أزمة شديدة . . ثم أرسلنا فى احضار أخصائى . . وكان له نفس الرأى . . وقد اتصلنا بك تليفونيا فى الليل بعد العاشرة . . وبعد ذلك ظهر عليها بعض التحسن . . والآن هم يقولون أن هناك أملا فى شفائها . . !

وفى اليوم التالى . . عندما شعر مادافا راو بالرضاء من تقدم حالتها . . قرر العودة هو وزوجته وأطفاله . . !

وفور وصولهم . . سلم اليهم « مالا لايايا » مظروفين قائلا :

ـ السيدة الطبيبة طلبت منى أن أقول لك أنت وأماجارو ، انها قد سافرت الى القرية . . فى قطار الرابعة . . !

وصاح مادافا راو مهتاجا :

ـ ما هذا السفر المفاجىء ؟ ألم تقدر حتى على الانتظار

لحين عودتى . ؟ من الذى سوف يعتنى بالمرضى . . هكذا النساء . . هن دائما يتصرفن هكذا . . !

فى البداية . . لم ترغب شاكوتتالا فى قراءة الخطاب ولكنها فتحته . . الأول كان الى زوجها . . الى مادافا راو . . فى الحقيقة كان خطابا قصيرا جدا ، تخبره فيه بأنها قد تركت وظيفتها بالمستشفى . . وأنها سوف توافيه بخطاب آخر به مزيدا من التفاصيل . . !!

أما الخطاب الثانى . . فكان يعنيها هى . . وكان طويلا . .

« أرجو أن تدعينى أناديك بشيتى . . فان شاكوتتالا يعطينى أنا رنينا غريبا فى أذنى . . ! ويعطيك أنت عمرا أكبر . . !! »

أننى أبدا لم أكن موفقة فى اظهار اهتمامى بالآخرين مثلك . . لقد أتيت اليك مرارا لأتكلم معك فى أشياء كثيرة . . ولكن للأسف .. فقد أتيت مرارا .. وخرجت دون أن أتفوه بأى كلمة . . وكنت أشعر بالتعاسة حين عودتى الى منزلى . . وأن عدم كلامى ربما يكون قد ترك عندك شيئا من الألم . . !

انك على أى حال تعلمين بأننى كنت دائما أنفر من الزواج . . وعديد من أصدقائنا قد تزوجوا حتى قبل الانتهاء من دراستهم .. ولكننى كنت أراهم فى النهاية غير سعداء . . !

ولقد كان من الطبيعى جدا أن أترك فكرة الزواج وراء ظهرى . . ولكن . . زياراتى الأخيرة لمنزلك . قد أحدثت بى تغييرا عميقا . . !

لقد كان من دواعى السرور أن أقابلك أنت وأطفالك . .

وا .ى الى أى مدى تكيفين حياتك.. دائما أراك مبتسمة.. تضفين
السعادة على كل من حولك . . كل هـــذا جعلنى أتوق الى أن
يكون لى منزلى الخاص . . أننى متأكدة أنها هى طبيعتك أنت
الحلوة التى أضاءت حياة زوجك !

منذ أربع سنوات ، كان هناك من يطلبنى للزواج . . ولكننى
فى ذلك الوقت لم أكن أريد الزواج أو أرغب فيه وظل هو
طوال هذه المدة بلا زواج . . انه شقيق زوج أختى . . !

أننى متأكدة بأنك ستكونين سعيدة عندما تعرفين أن الزواج
قد تقرر . أننى أنتظركما أنتما الاثنان لحضور الزفاف !

واذا لم تتمكنا . . فأننى أطلب منك أن تباركى حياتى لتكون
سعيدة مثل حياتك . . ان العريس ليس مثقفـا تثقيفا عاليا
ولكنه يمتلك بعض الأراضى والممتلكات . . وأننى سأحاول أن
أكون مخلصة وطيبة مثلك . . فى ذلك اليوم الذى حضرنا فيـه
ليلا والأمطار تغرقنا . . كان يمكنك ألا تتقبلى حضـورى
بهذا الشكل ان مجرد تصورى لهذا الموقف يملؤنى غضبا .
هناك أمور عديدة . لا أدرى كيف أعبر بها عن نفسى !

تحياتى لكل منكما . كمـالا

وتنهدت « شاكونتالا » تنهيدة عميقة وناولت الخطـاب
الى زوجها الذى نظر الى زوجته مبتسما وهى تغض من طرفها
وتلقى ببصرها على الأرض . . !

وعنـدما رفعت أنظـارها . . رأت الدموع تترقرق فى
عينيـه ..

□ □ □

الفهرست

صفحة

☐ رقم الايداع بدار الكتب ٤٧٣٢/١٩٨٤

☐ الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧ ـ ٠٩ ـ ٠٠١٥ ـ x

مطابع دار الشعب بالقاهرة

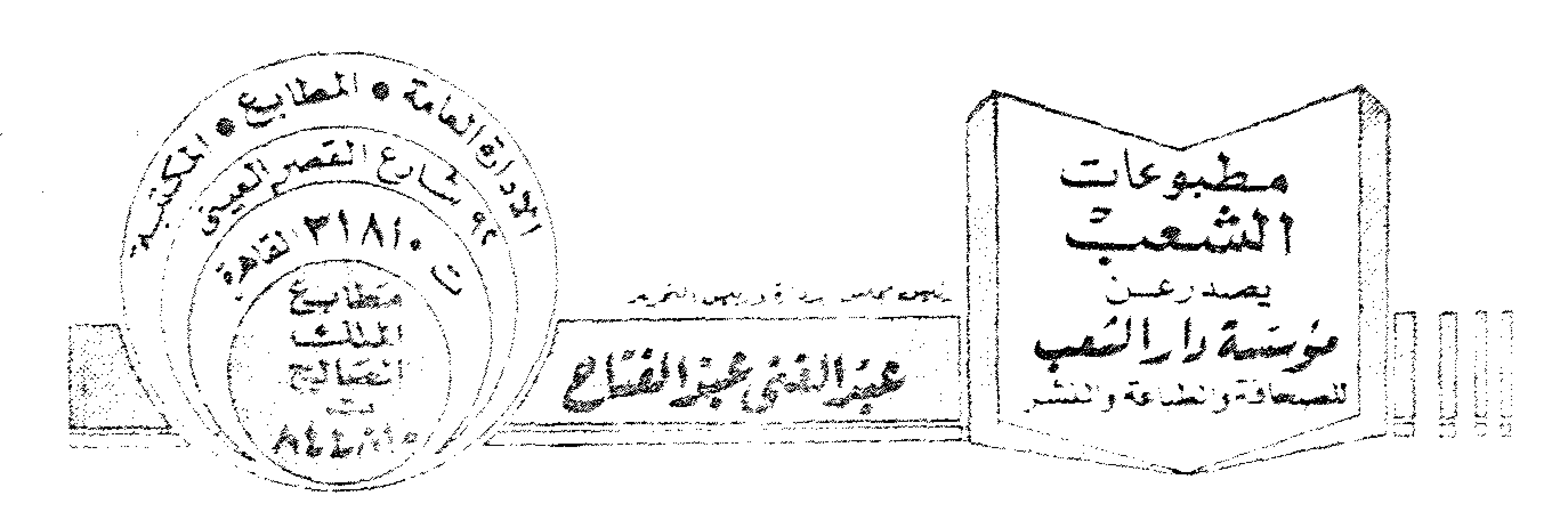
●● هذه مجموعة من الأزاهير التي يفوح منها عطر الهند من خلال الحقيقة التي سنجدها أغرب من الخيال والأمل الذي يضفي باشعاعاته على النفوس فيتحول الى نور يضيء ظلمات الحياة ويبدد ضباب اليأس والقدر المجهول الذي يحدد مصائر البشر .

وباختصار ، فنحن على موعد مع الحكمة الهندية في قالب فني رائع من خلال هذه المجموعة القصصية التي نقلتها الى العربية الأديبة لوسي يعقوب بقلمها الشاعري المرهف الذي طالما استمتع به القراء من قبل مع مؤلفاتها العديدة .

((دار الشعب))

الثمن

١٦٠ قرشا



١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م